جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

"إن شاء الله" في القرآن الكريم
(دراسة في التفسير الموضوعي)

إعداد الطالب
عبد الله صالح السديس

بإشراف:
الأستاذ الدكتور محمد الزغول

رسالة مقدَّمة إلى كلية الدراسات العليا
استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
أصول الدين / قسم التفسير وعلومه

جامعة مؤتة، 2015

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر
بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
College of Graduate Studies

جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب عبدالله صالح السديس الموسومة بـ:

المشيئة الالهية في القران الكريم دراسة موضوعية

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **اصول دين.**

القسم: اصول الدين.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. محمد علي الزغول		٢٠١٥/٠٣/٢٥	مشرفاً ورئيسا
أ.د. امين محمد البطوش		٢٠١٥/٠٣/٢٥	عضواً
د. طالب محمد الصرايرة		٢٠١٥/٠٣/٢٥	عضواً
د. عماد عبدالكريم الخصاونة		٢٠١٥/٠٣/٢٥	عضواً

عميد الدراسات العليا

د. علي الضمور

جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail:
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي : ٦١٧١٠
تلفون : ٠٣/٢٣٧٢٣٨٠-٩٩
فرعي 5328-5330
فاكس 375694 ٠٣/٢
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

وبعد أن أتمّ الله عز وجل نعمته عليّ، وأنهيت العمل في هذه الرسالة فإنه لا بدّ لي من أن أهدي هذا العمل العلمي لأناس عزيزين على قلبي، لهم مكانة كبيرة عندي، وأول هؤلاء الناس جميعاً والديَّ اللذين لم أزل أرتشف من حنانهم ودعائهم ما يصحبني في تخطي الصعاب والعقبات.

ولا يفوتني أن أهدي هذا العمل أيضاً لأحبتي وإخواني جميعاً، فلهم مني كل تقدير ومحبة.

عبد الله السديس

الشكر والتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى قبل كل شيء على ما هداني لهذا، وأشكره سبحانه على ما أتم علي من نعمته، فإنه أهل لأن يُحمد، وأهل لأن يُعبد.

ثم اشكر بعد الله أستاذي الجليل، وشيخي الكريم: الدكتور: محمد الزغول، على ما أنفقه من جهد، وما بذله من وقت من أجل مراجعة هذه الرسالة، وتدقيقها، والنظر في ثناياها لأجل الوصول إلى عمل تامّ بإذن الله تعالى.

كما أشكر لجنة المناقشة المحترمين، الأساتذة الأجلاء على ما بذلوه من جهد وعناء لقراءة هذه الرسالة، وتجشمهم عناء السفر لأجل هذه المناقشة، وإن ملحوظاتهم وتوجيهاتهم ستكون محط اهتمامي بإذن الله تعالى.

كما لا يفوتني أن أشكر كافة الأساتذة المدرسين في قسم أصول الدين، وفي كلية الشريعة على ما قدموه من علم وتعليم، وأشكر الزملاء الكرام على عونهم وصحبتهم العلمية، راجياً للجميع التوفيق.

عبد الله السديس

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
المحتويات	ج
الملخص باللغة العربية	هـ
الملخص باللغة الإنجليزية	و
المقدمة:	1
الفصل الأول: مفهوم المشيئة الإلهية	5
1.1 مفهوم المشيئة	5
1.1.1 المشيئة لغة	5
2.1.1 المشيئة والمشيئة الإلهية اصطلاحاً	6
2.1.1 مفهوم المشيئة عند المفسرين	9
4.1.1 ألفاظ المشيئة الإلهية في القرآن الكريم	11
2.1 علاقة المشيئة الإلهية بغيرها من المصطلحات	12
3.1 المخاطب في المشيئة في القرآن الكريم	12
1.3.1 المشيئة الإلهية حين يتحدث عنها الله سبحانه وتعالى	12
2.3.1 المشيئة الإلهية حين يتحدث عنها أحد من البشر	15
4.1المشيئة الإلهية في القسم المكي	17
5.1المشيئة الإلهية في القسم المدني	33
6.1 المشيئة الإلهية والفاصلة القرآنية	44
الفصل الثاني: المشيئة الإلهية في الهداية والمغفرة	47
1.2 المشيئة والهداية والضلال	47
1.1.2 مفهوم الهداية	48
2.1.2 أنواع الهداية	50
3.1.2 سبل الهداية	52

4.1.2 آيات المشيئة الإلهية والهداية 55
2.2 المشيئة الإلهية والعذاب والمغفرة 66
1.2.2 مفهوم العذاب والثواب 67
2.2.2 آيات المشيئة الإلهية التي تتعلق بالعذاب والمغفرة 69
الفصل الثالث: المشيئة الإلهية في أحوال العباد المختلفة 78
1.3 المشيئة والرزق 78
1.1.3 الآيات التي تتحدث عن المشيئة والرزق 78
2.3 المشيئة الإلهية وفضل الله تعالى 88
1.2.3 مفهوم فضل الله تعالى 88
2.2.3 أنواع الفضل 89
3.2.3 آيات المشيئة الإلهية وفضل الله تعالى 92
3.3 المشيئة الإلهية ورحمة الله تعالى 98
1.3.3 مفهوم الرحمة الإلهية 98
2.3.3 سعة رحمته سبحانه وتعالى 101
3.3.3 الآيات القرآنية التي تربط بين رحمته سبحانه وتعالى ومشيئته 104
4.3.3 المشيئة الإلهية والاجتباء والتزكية 108
1.4.3.3 مفهوم الاجتباء 109
2.4.3.3 مفهوم التزكية 110
3.4.3.3 من هم الذين يجتبيهم الله ويزكيهم 112
4.4.3.3 الآيات القرآنية التي تربط بين المشيئة الإلهية والاجتباء والتزكية 113
4.3 المشيئة وخلق الله تعالى وما يفعله 118
1.4.3 مفهوم أفعاله سبحانه وتعالى 118
2.4.3 الآيات القرآنية التي تشير إلى المشيئة الإلهية وما يفعله سبحانه وتعالى 119
5.3 المشيئة الإلهية والنصر 128
1.5.3 المشيئة الإلهية في آيات النصر 128

الخاتمة	132
المراجع	136

الملخص

"إن شاء الله" في القرآن الكريم

(دراسة في التفسير الموضوعي)

جامعة مؤتة، 2015م

جاءت هذه الدراسة للحديث عن المشيئة الإلهية كما ظهرت لنا من خلال آيات القرآن الكريم، فقد اشتمل القرآن الكريم على مجموعة من الآيات التي تناولت الحديث عن المشيئة الإلهية، وربطها بكثير من جوانب الحياة المختلفة، ومن هنا فقد انقسمت هذه الدراسة إلى فصلين هما:

الفصل الأول: مفهوم المشيئة الإلهية، وتناول فيه الباحث الحديث عن مفهوم المشيئة لغة واصطلاحاً، ثم ربط الباحث حديثه عن مصطلح المشيئة الإلهية بغيره من المصطلحات الأخرى ذات العلاقة، كالحديث عما كتبه الله سبحانه وتعالى على عباده، ثم تحدث الباحث عن المخاطب في المشيئة في القرآن الكريم.

أما الفصل الثاني فقد تناول فيه الباحث الحديث عن ميادين المشيئة الإلهية في القرآن الكريم، إذ تحدّث عن المشيئة الإلهية والرزق، والمشيئة والهداية والضلال، والمشيئة الإلهية وفضل الله تعالى، والمشيئة الإلهية ورحمته سبحانه وتعالى، والمشيئة الإلهية والاجتباء والتزكية، والمشيئة الإلهية وخلق الله تعالى وما يفعله، كما تحدّث الباحث عن المشيئة الإلهية والنصر، والمشيئة الإلهية والعذاب والمغفرة.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أن مفهوم "إن شاء الله" وما يرتبط به من مشيئته سبحانه وتعالى هي التي تظهر في كافة جوانب حياة الإنسان، سواء ما يتعلق بالهداية، أو الرزق، أو الصبر، أو توفيقه سبحانه وتعالى، فإن كافة هذه الأشكال الحياتية التي يعيشها الإنسان موضع لمشيئته سبحانه وتعالى، فلا يقع شيء من هذه الأشياء كلها إلا بعد مشيئته وإرادته سبحانه وتعالى.

Abstract

Divine will in the Holy Quran
A Study in subjective interpretation

Mutah University, 2015

Abdullah Al-Sudes

This study came to talk about the divine will as it appeared to us through the verses of the Koran, the Koran has included a set of verses that dealt talk about the divine will, is much different aspects of life and linking, hence this study were divided into two classes, namely:

Chapter One: The concept of the divine will, and he dealt with the modern concept of freewill researcher language and idiomatically, then connect the researcher talking about the term divine will with other relevant terms, as a term will, fate, and was written by god almighty to His slaves, then the researcher spoke about the nature of the spokesman for the divine will, God Almighty, it creation.

The second chapter dealt with the talk about the fields of divine woll in the Qur'an researcher, as talked about the divine will and a living, and will, and guidance and misguidance, and the divine and the divine will and Alajtaba and sponsorship, and the divine will and the creation of god and do, as a researcher talked about the divine will and victory, and divine will, suffering and forgiveness.

Then he followed a researcher of this study conclusion included a presentation of the results of the study, proven by sources and references.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي رفع السماء بغير عمد، وبسط الأرض وجعلها مهداً للناس إلى الأبد، وجعل فيها النور والظلام آيتين فهو واحد أحد، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، إلى جنات الفردوس نزلاً للمتقين، وبعد:

يمثل القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع والإلهام في عقيدتنا الإسلامية، فهو الكتاب المقدس المنزل من عند رب العالمين، فيه بينات وهدى للناس، وفيه من كل علم، أنزله سبحانه وتعالى دستوراً دائماً لا يتغير بتغير الأحوال، ولا يتبدل بتبدل الأزمان، خالد بخلود هذا الدين العظيم، منارة هداية لمن أراد أن يذكر أو اراد شكوراً.

وانطلاقاً من هذا المبدأ العظيم الذي يؤمن به كافة المسلمين، ويرون فيه السبيل الوحيد إلى سعادة الدارين الدنيا والآخرة، فإن من الشرف بمكان أن يكون الإنسان باحثاً في أغوار هذا الكتاب السماوي العظيم، متأملاً في آياته الكريمة، ومتدبراً في الأحوال التي ذُكرت فيه، يرتدع حين الردع، ويرجو عند الرجاء، وكفى بهذا العلم شرفاً أن يكون مرتبطاً بأعز كتاب على الأرض، وأشرف نص في الدنيا، ألا وهو نص القرآن الكريم.

وقد رأى الباحث أن يفرد دراسة لموضوع قرآني كثيراً ما يتردد في الآيات الكريمة، وكثيراً ما نجد الحديث عنه في نواحي القدرة الإلهية، ألا وهو المشيئة الإلهية في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية كما ورد الحديث عن هذه المشيئة في كتاب الله سبحانه وتعالى.

والباحث حين ينظر في دلالات المشيئة الإلهية إنما ينظر إليها وفق نصوص القرآن الكريم، ووفق الآيات القرآنية ضمن سياقها العام؛ لأنه لا يمكننا أن نتحدث عن هذه المشيئة الإلهية إلا من خلال حديث الله سبحانه وتعالى عنها، فلا علم لنا في ذلك إلا ما علمنا إياه رب العالمين، ولقد وجد الباحث عدداً كثيراً من الآيات القرآنية

التي تتناول موضوع المشيئة الإلهية من كافة الجوانب، وانطلاقاً من هذا رأى أن يفرد هذه الدراسة للحديث عن المشيئة الإلهية.

أهمية الدراسة:

تبرز لنا أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول مصطلحاً قرآنياً تكرر كثيراً في كتاب الله، ولما كان التدبر من أوجب الواجبات فإن طريقة التعمق في دراسته وفهم دلالاته وأبعادها. فرغبت في هذه الدراسة للأسباب التالية:

1 . أنها تتناول موضوع المشيئة الإلهية من وجهة نظر تفسيرية بيانية.

2 . ارتباط المشيئة الإلهية بنواحٍ كثيرة من حياتنا اليومية سواء في الرزق أم في الهداية، أم في غير ذلك.

3 . أنها قد تكررت في القرآن الكريم، فأفردتها ببحث موضوعي يخدم دراسات القرآن الكريم من ناحية، ويخدم أمة القرآن الكريم من ناحية ثانية.

تساؤلات الدراسة:

تدور هذه الدراسة حول سؤال محوري وهو:

ما مفهوم المشيئة الإلهية في القرآن الكريم، وما مدى اهتمام آيات القرآن الكريم في تناولها؟

ولكي يجيب الباحث على هذا السؤال تجب الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما علاقة المشيئة الإلهية بغيرها من المصطلحات؟

ما هي أبرز ميادين المشيئة الإلهية في القرآن الكريم؟

ما علاقة المشيئة الإلهية بأركان الإيمان الأخرى؟

هدف الدراسة:

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان مفهوم المشيئة الإلهية لغة واصطلاحاً، وتوضيح موقف العلماء من هذه المعاني، وبيان علاقة هذا المصطلح بغيره من المصطلحات الأخرى كالإرادة، والرغبة، وغيرها.

كما تهدف هذه الدراسة إلى بيان أبرز ميادين المشيئة الإلهية في القرآن الكريم سواء منها ما يتعلق بالرزق، وما يتعلق بالآجال، وما يتعلق بالهداية، وغيرها من الميادين الأخرى.

وتهدف هذه الدراسة أيضاً إلى ربط المشيئة الإلهية بأركان الإيمان الأخرى، الإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب السماوية، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

الدراسات السابقة:

لم يعثر الباحث على دراسة مستقلة تناولت موضوع المشيئة الإلهية، غير أن جُل ما عثر عليه فصول متعددة ضمن كتب مختلفة تناولت موضوع المشيئة الإلهية، من مثل الفصل السابع من كتاب: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، فقد تناول في هذا الفصل الحديث عن مشيئته سبحانه وتعالى، وبيّن فيه أن مشيئة الإنسان تابعة لمشيئته سبحانه وتعالى.

ومن ناحية أخرى فإن أكثر العلماء الذين تحدثوا عن القضاء والقدر تناولوا بالحديث المشيئة الإلهية وبعض نواحيها، إذ كثيراً ما تلتقي المشيئة الإلهية بمسائل القضاء والقدر، وهو ما تطرّق إليه بعض العلماء والمؤلفين، لذا فإن هذه الدراسة تميّزت عن سابقاتها من الدراسات بأنها انفردت بالحديث المطول عن المشيئة الإلهية بكافة أحوالها وجوانبها، وتناولت الموضوع بشكل أكثر تفصيلاً مما عليه الحال في سائر تلك الدراسات السابقة.

منهجية الدراسة:

اتبع الباحث في دراسته هذه المنهج الاستقرائي التحليلي، فعمد إلى استقراء الآيات القرآنية الكريمة التي تتناول موضوع المشيئة الإلهية ووقف على أجمعها لمعاني المشيئة في أقوال المفسرين لتحليلها وتبين المراد منها.

ومن هنا فقد قسّم الباحث دراسته إلى ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول: مفهوم المشيئة الإلهية، وتناول فيه الباحث الحديث عن مفهوم المشيئة لغة واصطلاحاً، ثم ربط الباحث حديثه عن مصطلح المشيئة الإلهية بغيره من المصطلحات الأخرى ذات العلاقة، كمصطلح الإرادة، والقدر، وما كتبه الله سبحانه وتعالى على عباده، ثم تحدث الباحث عن طبيعة المتحدِّث عن هذه المشيئة الإلهية،

فقد يكون الله سبحانه وتعالى هو المتحدِّث عنها، وقد يكون المتحدّث عنها أحد من خلقه.

أما الفصل الثاني فقد بدأ فيه الباحث الحديث عن ميادين المشيئة الإلهية في القرآن الكريم، فقد كان هذا الفصل مختصاً بالحديث عن المشيئة الإلهية في الهداية والمغفرة، وانقسم فيه الحديث ضمن مبحثين هما: الأول: المشيئة الإلهية والهداية والضلال، والثاني: المشيئة الإلهية والعذاب والمغفرة.

أما الفصل الثالث: فقد أكمل فيه الباحث حديثه عن سائر ميادين المشيئة الإلهية الأخرى، ضمن باب الرزق، وفضل الله تعالى، والاجتباء والتزكية، ورحمته سبحانه وتعالى، ووخلقه وأفعاله، ونصره لمن يشاء.

ثم أتبع الباحث كل هذا بعدد من النتائج التي تضمنتها خاتمة الدراسة، وقائمة بمصادر ومراجع هذه الدراسة.

وإن الباحث يسأل الله تعالى أن يكتب هذه الدراسة في ميزان حسناته يوم يلقاه، وأن يجعل من هذا العمل عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وما كان فيه من صواب فمنه سبحانه وتعالى وحده، وما كان فيه من زلل وخطأ فمن نفسي والشيطان، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

مفهوم المشيئة الإلهية

تحدث القرآن الكريم كثيراً عن المشيئة الإلهية، وبين ارتباطاتها بغيرها من المصطلحات الشرعية الأخرى التي لها علاقة من قريب أو من بعيد بمصطلح المشيئة الإلهية، وفي هذا الفصل سيحاول الباحث بيان مفهوم المشيئة والمشيئة الإلهية وفق ما يتوصل إليه الباحث من ملحوظات بحثية في ثنايا الكتب، كما سيحاول هذا الفصل الربط بين هذا المصطلح وغيره من المصطلحات ذات الصلة من مفهومه.

1.1 مفهوم المشيئة:

1.1.1 المشيئة لغة:

لكي يستطيع الباحث أن يقدم تصوراً واضحاً عن مفهوم المشيئة الإلهية فإنه يتوجب بيان أصل هذا المصطلح في المعاجم اللغوية العربية، فدون شك هناك علاقة وثيقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لمفهوم المشيئة.

ولفظ "مشيئة" ففي اللغة يتعلق بالمصدر الميمي للفعل "شاء يشاء"، فإن مصدر هذا الفعل هو "المشيئة" ومن هنا فإن المشيئة تدل على حدث "شاء" ولا تدل على الزمان(1).

ونجد بعض أصحاب المعاجم اللغوية يفسر لنا "المشيئة" بالإرادة، هذا ما بيّنه الجوهري عند حديثه عن مفهوم المشيئة(2)، إذ يُقال: شئت الشيء اشاؤه شيئاً

(1)الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (د.ت). العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت ـــ لبنان، ج: 6، ص: 297.

(2) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (1987م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الرابعة، ج: 1، ص: 58.

ومشيئة، أي: أردته(1).

وما ذهب إليه الفراهيدي هو ما عليه أكثر أصحاب المعاجم اللغوية فلم يفرقوا بين المشيئة والإرادة، بل جعلوا المشيئة بمعنى الإرادة، وفسروا هذه بتلك، غيـــر أن واقع الأمر يقضي بوجود الفرق بين المشيئة والإرادة، فإن المشيئة تعني الإيجاد في أصل اللغة، أما الإرادة فإنها تعني الطلب(2).

إذن فإن المعنى اللغوي للمشيئة يختص بجانب الإرادة هذا ما ألمح إليه أكثر أهل المعاجم، والواقع أن هناك فرقاً بين المشيئة والإرادة، فالمشيئة تختص بالإيجاد، كقولنا مثلاً: شاء الله هداية فلان، أي: أوجد هدايته في قلبه أو نفسه، في حين أنننـــا نقول: أردت الذهاب، أي طلبت الذهاب، ولم أوجده إيجاداً، ومن هنا يتضح الفـــرق بينهما، وسنحاول تفصيل الحديث في هذا الجانب في مبحث مقبل بإذن الله تعالى.

2.1.1 المشيئة والمشيئة الإلهية اصطلاحاً:

بعد أن اتضح لنا مفهوم المشيئة لغة، فلا بد لنا من بيان مفهومها في الاصطلاح، إذ يبين لنا المناوي " أن المشيئة في معناها الاصطلاحي تتمثل بمعنى يكـــون مـــن خلاله الفعل مراداً، ولقد أُخِذت المشيئة من الشيء"(3).

أما التهانوي فقد فصّل في معنى المشيئة بوجه عام، إذ يقول: "عبارة عن صـــفة في الحيّ توجب تخصيص أحد المقدورين في أحد الأوقات بالوقوع مع استواء نسبة

([1])ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم المصري الإفريقي (1414هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 1، ص: 103.

([2]) الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الهداية، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 292.

([3])المناوي، عبد الرءوف بن تاج العاريفين بن علي (1990م). التوقيف على مهمات التعاريف، دار عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى، ص: 306.

القدرة إلى الكل"(1).

ربط التهانوي في تعريفه السابق المشيئة بالقدرة، فإن المشيئة تختص بصفة في الحي توجب القدرة بأحد المقدورين في أحد الأوقات مع الأخذ بعين الاعتبار نسبة القدرة على الكل، فالواقع من هذا الكل هو الذي حصل باعتبار المشيئة.

وبعد أن تناول الباحث مفهوم المشيئة لغة واصطلاحاً فإنه يشير إلى بعض الملحوظات في العلاقة بين المعنيين، وهذه الملحوظات هي:

1. لم يكن تحديد الفرق بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي بالأمر السهل، إذ إن بعض العلماء وأصحاب معاجم المصطلحات لم يفرقوا بين المعنيين، فنجدهم ينعتون المشيئة لغة مفهوم المشيئة اصطلاحاً، والعكس بالعكس، وهذا فيه شيء من الخلط، إذ من المفترض أن يكون هناك فرق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.
2. وكما هو الحال في الخلط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للمشيئة فهناك خلط أيضاً بين مفهوم المشيئة ومفهوم الإرادة، والحقيقة أن هناك تقارباً كبيراً بين المصطلحين، غير أن هذا التقارب لا يصل إلى حد التماثل أو الترادف، إذ إن واقع المصطلحين يشير إلى اختلافهما، غير أن بعض العلماء لم يفرقوا بينهما.

أما بالنسبة لمفهوم المشيئة الإلهية اصطلاحاً فنجد الجرجاني يقول: " مشيئة الله: عبارة عن تجلي الذات والعناية السابقة لإيجاد المعدوم أو إعدام الموجود"(2).

فالمشيئة الإلهية تتكون من عنصرين مهمين اثنين، هما:

الأول: العناية الإلهية السابقة لإيجاد المعدوم.

([1])التهانوي، محمد بن علي (1996م). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، ترجمة النص الفارسي: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 1553.

([2])الجرجاني، علي بن محمد بن علي (1983م). كتاب التعريفات، تحقيق: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ص: 216.

الثاني: العناية الإلهية السابقة لإعدام الموجود.

فهذان العنصران يكونان معاً المشيئة الإلهية، وهما مرتبطان بالعناية الإلهية السابقة منه سبحانه وتعالى.

وتابع المناوي الجرجاني في مفهومه للمشيئة الإلهية، ولم يزد على ما قاله الجرجاني شيئاً(1).

ومن الجدير بالذكر أن بعض العلماء قد أشار إلى أن المشيئة الإلهية صفة أزلية فيه سبحانه وتعالى، وجعل هذا المفهوم سبيلاً للتفريق بين مصطلح المشيئة الإلهية، والإرادة الإلهية، والواقع أن كليهما أزلية حادثة فيه سبحانه وتعالى(2).

أما التهانوي فقد كان مفصّلاً أيضاً في مفهوم المشيئة الإلهية، وذلك إذ يقول: " مشيئة الله هي الاختيار الثابت له وليس اختياره سبحانه على النحو المتصوّر من اختيار الخلق الذي هو تردّد واقع بين أمرين كلّ منهما ممكن الوقوع عنده فيترجّح أحدهما لمزيد مصلحة وفائدة؛ لأنّ هذا مستنكر في حقّه، إذ لا يصحّ لديه تردّد ولا إمكان حكمين مختلفين، بل لا يمكن غير ما هو المعلوم المراد في نفسه. فإن قلت فكيف يصحّ قولهم إن شاء أوجد العالم وإن لم يشاء لم يوجد. قلت صدق الشرطية لا يقتضي صدق المقدّم أو إمكانه، فقوله إن لم يشأ غير صادق بل غير ممكن"(3).

ارتكز تعريف التهانوي للمشيئة الإلهية على المرتكزات الآتية:

1 . أنها اختيار ثابت منه سبحانه وتعالى.

2 . إن هذا الاختيار منه سبحانه وتعالى لا يشابه اختيار البشر القائم على أساس التردد بين شيئين، ثم يتم اختيار أحدهما لمزيد فائدة أو خير، وإنما اختياره سبحانه وتعالى لا يمكن أن يوصف بالتردد أو مزيد فائدة، بل إن الممكن ما هو ثابت في نفسه سبحانه وتعالى.

([1]) المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 306.

([2])الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (د.ت). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، ص: 75.

([3]) التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج: 2، ص: 1553 ــ 1554.

3 . الجملة الشرطية التي توصف بها المشيئة الإلهية: ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا تستوجب صدق المقدم بصدق الشرط.

فهذه المرتكزات الثلاث هي التي اعتمد عليها التهانوي في تعريفه السابق للمشيئة الإلهية، ويمكننا أن نصف تعريفه هذا بأنه أكثر التعاريف السابقة شمولاً للمعنى، وإيصالاً للفكرة، فقد أخذ في اعتباره عدداً من الأمور التي لم تؤخذ بعين الاعتبار في ما سواه من التعريفات الأخرى، مع الإشارة هنا إلى أن مفهوم المشيئة عند الآخرين ليس بعيداً عما يراه التهانوي، بل إن ما يميز مفهوم المشيئة عند التهانوي التفصيل، والوضوح في الألفاظ والمعاني.

2.1.1 **مفهوم المشيئة عند المفسرين**:

يشير مفهوم المشيئة الإلهية عند المفسرين إلى تلك القدرة المحصنة التي يتصف بها الله سبحانه وتعالى في تسيير الأمور، وتدبير الأحوال، فهو ليس عجزاً عن تدبير أمور خلقه بفائق علمه، ولا ينسى شيئاً فيفوته دون أن يجريه وفقاً لما تقتضيه مشيئته، وهذه المشيئة الإلهية ليست محكومة بشرط أو قيد، بل هي بأمره سبحانه وتعالى يجريها كيف يشاء(1).

وتقتضي المشيئة الإلهية أن الله سبحانه وتعالى يجري من الأحكام على عباده تارة، وينسخها تارة أخرى، وفق ما تقتضيه مصالح العباد التي يعلمها الله سبحانه وتعالى بعلمه التام، وقدرته الكاملة، فإن هذه المشيئة والإرادة الإلهية هي التي تجري بها الأحكام وفقاً لما يقضيه الله سبحانه وتعالى بين عباده(2).

وتنبني المشيئة الإلهية على أساس الحكمة البالغة من الله سبحانه وتعالى، والمصالح النافعة لعباده والناس أجمعين، وإن أمر المشيئة الإلهية مرتبط بعلمه

([1])الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (1420هـ). مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 18، ص: 475.

([2])ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي (1998م). اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 11، ص: 319.

سبحانه وتعالى وقدرته، فبهذه القدرة والعلم يصل العباد إلى النفع والصلاح في دينهم ودنياهم(1).

ونجد المفسرين يميزون بين المشيئة الإلهية، ومشيئة العباد، فإن مشيئة العباد تحصل بانفعال النفوس بحالتي الترغيب والترهيب، أما المشيئة الإلهية فهي آثار إرادته سبحانه وتعالى على العبد، فإن حصلت حَصلتْ بمشيئته سبحانه وتعالى، وتلك الآثار ما هي إلا مجموعة من الأمور التي تجتمع من أجل تحقق مشيئة العبد بتحقق مشيئة الله سبحانه وتعالى(2).

فالربط بين المشيئة الإلهية ومشيئة العباد أمر مهم جداً في فهم المشيئة الإلهية، فإن كثيراً من أصحاب العقائد المنحرفة، يرون بأن مشيئة العباد لا دخل لها إذا نظرنا إليها وفق منظور المشيئة الإلهية، فإن الله سبحانه وتعالى إذا شاء شيئاً فلا قيمة لمشيئة العبد، وأن العبد مسير في هذا كله، ولا حاجة به للدعاء أو الرجاء، فمشيئة الله سبحانه وتعالى حاصلة لا محالة، والهداية والضلال هي أيضاً بمشيئته سبحانه، والواقع أن هذا الكلام فاسد، فالضلال بمشيئته سبحانه وتعالى بعد مشيئة العبد؛ لأنه سبحانه وتعالى قد خيّر عباده بين الهدى والضلال، فمن اختار الضلال فهي مشيئته التي حصلت بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى(3).

وفيما يتعلق بهذه المسألة فقد كان هناك تفريط وإفراط، فأناس غلّبوا المشيئة الإلهية، وأناس غلّبوا مشيئة العباد، ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين موازناً بين هذين الرأيين: " نحن نأخذ بالحق الذي مع الجانبين؛ فنقول: إن فعل العبد واقع

---

(1)الخلوتي، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستنبولي (د.ت). روح البيان، دار الفكر، بيروت ــ لبنان، ج: 2، ص: 400.

(2)ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (1984م). التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس، ج: 29، ص: 414.

(3) انظر: ابن الوزير، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن علي (1994م). العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 5، ص: 396، وسابق، سيد (د.ت). العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ص: 106.

بمشيئة الله وخلق الله، ولا يمكن أن يكون في ملك الله ما لا يشاؤه أبدا، والإنسان له اختيار وإرادة، ويفرق بين الفعل الذي يضطر إليه والفعل الذي يختاره؛ فأفعال العباد باختيارهم وإرادتهم، ومع ذلك، فهي واقعة بمشيئة الله وخلقه. لكن سـيبقى عنـدنا إشكال: كيف تكون خلقا لله وهي فعل الإنسان؟ والجواب: أن أفعال العبد صـدرت بإرادة وقدرة، والذي خلق فيه الإرادة والقدرة هو الله عز وجل، لو شاء الله تعـالى؛ لسلبك القدرة؛ فلم تستطع، ولو أن أحدا قادرا لم يرد فعلا؛ لم يقع الفعل منه"(1).

وعموماً فإن الباحث يشير إلى أن هذا الاختلاف والخـلاف حـول مـسألة المشيئة الإلهية ومشيئة العباد لا حاجة بنا للتعمق فيه ضمن هذه الدراسة، وذلـك أن هذه الدراسة لا تختص بهذا الخلاف، وليست معنية به، غير أن من واجب الباحـث أن يشير له كي تتضح بعض ملامح مفهوم المشيئة الإلهية.

4.1.1 ألفاظ المشيئة الإلهية في القرآن الكريم:

وردت المشيئة الإلهية في كتاب الله تعالى في حوالي 196 موضـعاً، كـان بعضها يرد مرتين في الآية الواحدة، ولقد جاءت هـذه المواضـع مقـسمة حـسب التصريفات الفعلية التي ورد الحديث فيها عن المشيئة الإلهية، وهذه الاشتقاقات التي جاءت بها مواضع المشيئة الإلهية سبعة ، كما يلي:

1 . لفظ "يشاء"، وكان هذا اللفظ أكثر الاشتقاقات الفعلية وروداً في مواضع الحديث عن المشيئة الإلهية، إذ ورد في كتاب الله تعالى في 102 موضع.
2 . الفعل: شاء: وقد كان هذا الفعل في المرتبة الثانية بما يتعلق بوروده في مواضع المشيئة الإلهية، وقد ورد في حوالي 54 موضعاً.
3 . الفعل "يشأ": وهو الناشئ عن الفعل "يشاء" غير أنه مجزوم، فارتأى الباحث أن يجعل له قسماً خاصاً، وقد ورد في كتاب الله تعالى في عشرة مواضع.
4 . الفعل "نشاء"، وقد ورد في كتاب الله تعالى ضمن سبعة عشر موضعاً.

---

(1) العثيمين، محمد بن صالح (1413هـ). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، ودار الثريا، الرياض ـ السعودية، الطبعة الثالثة، ج: 8، ص: 441 ـ 442.

5 . الفعل "نشأ" وهو ناشئ عن جزم الفعل "نشاء"، وارتأى الباحث أيضاً أن يفرد له قسماً خاصاً به، وقد ورد في كتاب الله تعالى في ثلاث مواضع.

6 . الفعل "شئناً"، وهذا الفعل ناشئ عن اتصال "شاء" بضمير الرفع، فصار: شئنا"، وارتأى الباحث أيضاً أن يفرد له قسمه، فقد ورد في كتاب الله تعالى في خمس مواضع.

7 . الفعل "تشاء": وقد ورد هذا الاشتقاق الفعلي في خمسة مواضع من كتاب الله تعالى، مضافاً إليها موضعين يتعلقان بالرسول – صلى الله عليه وسلم – وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾.(سورة الأحزاب، آية: 51).

2.1 علاقة المشيئة الإلهية بغيرها من المصطلحات:

هناك بعض المصطلحات التي تشترك مع المشيئة الإلهية في بعض الجوانب وليس في جميعها، وهذه المصطلحات لا بد للباحث من أن يتطرق للحديث عنها، وذلك من أجل أن تكون التفرقة الواضحة بينة بينها، حتى لا يبقى الأمر من غير بحث أو تدقيق، فيظل الإشكال قائماً.

3.1 المخاطب في المشيئة في القرآن الكريم:

بعد النظر في الآيات القرآنية التي تتحدث عن المشيئة الإلهية وجد أن المتحدث عن هذه المشيئة واحد من اثنين هما: إما أن يكون المتحدث هو الله سبحانه وتعالى، أو أن يكون المتحدث واحداً من مخلوقاته.

1.3.1 المشيئة الإلهية حين يتحدث عنها الله سبحانه وتعالى:

وحين ننظر في الآيات القرآنية الكريمة التي تناولت المشيئة الإلهية حين يتحدث عنها الله سبحانه وتعالى نجدها تتعلق بجوانب حياتية هامة بالنسبة للإنسان

عموماً، كالرحمة والهداية والرزق، فالرزق مثلاً من الأمور المهمة عند الإنسان، لذا فإنه يبقى على خوف دائم من طبيعة هذا الرزق، وفيما يلي نضرب مثالاً على ذلك.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. (سورة البقرة، آية: 212.)

فإن الآية القرآنية الكريمة السابقة وردت لبيان أن الله سبحانه وتعالى يعلم من يوسع عليه من عباده ممن يضيق عليهم، وهي خطاب من الله سبحانه وتعالى للناس كافة(1).

وقد لا يقتصر الرزق على جانب المال والطعام والشراب فحسب، بل إن من أشكال الرزق أن يسوق الله سبحانه وتعالى للإنسان العلم والحكمة والمعرفة، ويظهر لنا ذلك في قوله سبحانه : ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾.(سورة البقرة، آية: 269.)

إذ إن الحكمة هاهنا تتعلق بالعلم والدين والكتاب، وغيرها من العلوم الأخرى، وهذه العلوم ما هي إلا رزق منه سبحانه وتعالى(2).

فإنه سبحانه وتعالى قد تحدث عن مشيئته في رزق عباده، والرزق أمر محسوم منه سبحانه وتعالى، يرزق من يشاء بغير حساب، وحين يتحدث سبحانه وتعالى عن مشيئته في الرزق يغلب أن يكون الحديث على سبيل الامتنان منه سبحانه على عباده بأن سخر لهم أسباب الرزق وسبله.

ونجده سبحانه وتعالى يتحدث عن المشيئة في جوانب الهداية، فقد قال في محكم التنزيل: ﴿فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة البقرة، آية: 213.)

([1]) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 1، ص: 255.

([2])النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (1998م). مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 220.

فالآية الكريمة تنص صراحة على مشيئته سبحانه وتعالى في هداية عباده إلى طريق الحق، وضلال غيرهم عن طريق الحق إلى طريق الباطل، فإن أمر الهداية والضلال مرتبط به سبحانه وتعالى لا بأحد من خلقه(1).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (سورة الأنعام، آية: 111) .

فلقد بيّنت الآية القرآنية الكريمة المشيئة الإلهية في هداية الناس أو ضلالهم، فلو أراد سبحانه وتعالى ضلال امرئ ما اهتدى لو ظهرت له طريق الحق، وذلك لأنه سبحانه وتعالى لم يكتب له تلك الهداية، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك(2).

وفي موضع آخر يتحدث فيه سبحانه وتعالى عن فضله يقول سبحانه: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (سورة البقرة، آية: 90).

إذ تبين الآية الكريمة اختصاصه سبحانه وتعالى بإنزال فضله على من يشاء من عباده، فالمشيئة مختصة بالفضل، والفضل من عنده سبحانه وتعالى، وهو المتحدث عن هذا الفضل، والمقصود بهذا الفضل ما أنزله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الرسالة والقرآن(3).

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (سورة الإسراء، آية: 54).

([1])ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (1422هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 285.

([2])الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (2002م). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 4، ص: 181.

([3]) النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 109.

فإن الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة يتحدث لنا عن مشيئته سبحانه المتعلقة بالرحمة، إذ يشير أهل التفسير إلى أن المقصود بالرحمة هاهنا الهداية، وعدم الرحمة انتفاء تلك الهداية، واتصاف صاحبها بالضلال، وقيل إن المقصود بالرحمة الجنة، وعدم الرحمة النار(1).

وهكذا فإنه سبحانه وتعالى يتحدث عن هذه المشيئة في الجوانب المتعلقة بقدرته سبحانه وتعالى، والتي تختص به، ويلاحظ الباحث أن هذه الآيات التي كان المتحدث فيها عن المشيئة هو الخالق جل وعز ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعاني الامتنان منه سبحانه على عباده بأن منحهم الرحمة، والهداية، والرزق، والفضل من عنده، وهكذا، فإن جميع هذه الأمور متعلقة بنواحي الامتنان الإلهي على هذه النعم الجزيلة، وليس غيره من مخلوقاته من يستطيع أن يفعل مثل هذا، كما أن مشيئته سبحانه وتعالى اقتضت أن تكون مثل هذه النعم سبيلاً لبيان فضله عز وجل على عباده.

2.3.1 المشيئة الإلهية حين يتحدث عنها أحد من البشر:

وكما كان الحديث عن المشيئة الإلهية من قبله سبحانه وتعالى، فهناك مواضع قرآنية تشير إلى أن المتحدث عن هذه المشيئة الإلهية واحد من البشر المخلوقين، وذلك ما سيوضحه الباحث في الأمثلة الآتية.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة، آية: 247) .

كان الكلام في الآية السابقة على لسان نبي بني إسرائيل من بعد موسى ــ عليه السلام ــ حين أرسل سبحانه وتعالى جالوت ملكاً عليهم، وبين لهم نبيهم أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل ملكه لمن يشاء من عباده، وهو على كل شيء

(1)الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد (1415هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 133.

قدير(1)، فالمتحدث هاهنا واحد من أنبياء الله، والمعنى إظهار قدرته سبحانه وتعالى على منح الرزق لمن يشاء من عباده.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة، آية: 70) .

إن هذه الآية الكريمة وردت على لسان بني إسرائيل حين أمرهم سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ بأن يذبحوا بقرة، فأخذوا يسألون عن أوصاف تلك البقرة، حتى قالوا "إنا إن شاء الله لمهتدون" وهو اعتراف منهم أن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى(2)، فالمعنى يختص بالإقرار البشري بأن مشيئة الله سبحانه وتعالى هي التي تتحكم بأمر الهداية والضلال، فمن شاء الله سبحانه وتعالى له الهداية اهتدى، ومن شاء له الضلال ضل.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة آل عمران، آية: 40).

وردت هذه الآية الكريمة على لسان الملك المبشر لزكريا بيحيى، وذلك حين تساءل زكريا ــ عليه السلام ــ كيف سيلد وهو عجوز قد اشتعل رأسه شيباً، وامرأته عاقر لا تلد أصلاً، فأخبره الملك أن هذا من مشيئته سبحانه وتعالى، وهو صاحب القدرة المطلقة، يفعل ما يريد(3)، فالمعنى في هذه الآية الكريمة يتعلق بمشيئته سبحانه وتعالى في الإيجاد والخلق، وهي دليل على قدرته سبحانه وتعالى.

ومن خلال الأمثلة السابقة للحديث عن المشيئة الإلهية من قبل البشر أنفسهم يمكننا أن نخلص إلى النتائج الآتية:

([1])الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (1422هـ). زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 123.

([2])البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (1420هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 129.

([3]) انظر: البغوي. معالم التنزيل، ج: 1، ص: 437.

1 . كان الحديث عن المشيئة الإلهية من قبل البشر في بعض الأحيان يتعلق بالإقرار بأن الله سبحانه وتعالى قادر على فعل أي شيء، وذلك مثل ما رأينا في آيـة قصة البقرة، فقد أقر بنو إسرائيل بأن القدرة لله في هدايتهم إلى التصرف على تلك البقرة.

2 . وقد تتعلق المشيئة على لسان البشر ببيان فضله سبحانه وتعالى ونعمته علـى عباده.

3 . قد تتعلق المشيئة الإلهية عندما تكون على لسان أحد من البشر بإظهار قدرتـه سبحانه وتعالى في الخلق والإيجاد من العدم.

إن هذه المعاني تمثل أبرز تلك المعاني التي ترتبط بالمشيئة الإلهية حين يكـون الحديث عنها من قبل أحد من البشر دون أن يكون الحديث عنها من قبلـه سـبحانه وتعالى، وعموماً فإن أكثر الآيات القرآنية التي تناولت المشيئة الإلهية كان المتحدث عنها هو الخالق سبحانه وتعالى جلت قدرته.

4.1المشيئة الإلهية في القسم المكي:

يظهر الحديث عن المشيئة الإلهية في آيات السور المكية، وذلك كما يلي:

سورة الأنعام:

في قوله سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، الأنعام: 35.

لقد بيّنت الآية الكريمة أن هؤلاء الكافرين قد تركوا الإيمان بمشيئته سـبحانه وتعالى، وأنه سبحانه وتعالى لو شاء لجمعهم على الإيمان كما تركوه بمشيئته(1).

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، الأنعام، 39.

---

[1]. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 2، ص: 266.

فالمشيئة هاهنا مختصة بالهداية والضلال من الله تعالى، فمن أراد سبحانه أن يهديه فإنه يمته على الإسلام والإيمان، ومن لم يرد له الهداية، فإنه يموت على العصيان والشرك بالله، فالمشيئة هاهنا متعلقة بالهداية1.

في قوله سبحانه: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾، الأنعام: 41.

والمشيئة هاهنا تتعلق بكشف ما يطلب الناس كشفه من الله سبحانه وتعالى، فهو إن شاء تفضل عليهم بكشف ذلك الأمر إذا لم يكن فيه مفسدة(2).

وفي قوله سبحانه على لسان إبراهيم: ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾، الأنعام: 80.

أي: لكن إذا شاء ربي شيئاً، أي سوءاً3، وتدخل هذه المشيئة ضمن إطار القدر.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، الأنعام: 88.

تتحدث هذه الآية عن المشيئة الإلهية في جانب الهداية، فإنه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء إلى الطريق السوي المستقيم4.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾، الأنعام: 107.

وهاهنا جاءت المشيئة بمعنى أن الله سبحانه وتعالى لا يريد إيمان الكافرين، وإنما مشيئته واجبة الحصول(5).

---

[1]. الجوزي. زاد المسير، ج: 2، ص: 27.

[2]. الزمخشري. الكشاف، ج: 2، ص: 22.

[3]. البغوي. معالم التنزيل، ج: 2، ص: 140.

[4]. السمعاني. تفسير السمعاني، ج: 2، ص: 124.

[5]. البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 2، ص: 177.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾، الأنعام: 111.

أي لو شاء الله لهداهم إلى الإيمان، فالمشيئة هاهنا متعلقة بالهداية(1).

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، الأنعام: 112.

ومعنى ولو شاء ربك ما فعلوه، أي ما فعلوا الإيحاء بالزخرف والغرور(2).

في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، الأنعام: 128.

والمشيئة هاهنا متعلقة بعلمه سبحانه وتعالى بالمدة الزمنية التي يخلد فيها أصحاب النار في النار، وقيل علمه بالأقوام الذين يسلمون بعد ذلك فيدخلون الجنة(3).

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾، الأنعام، 133.

والمقصود بهذه الآية أن الله سبحانه وتعالى ليس له من عباده شيء، ولا حاجة به إلى العصاة من الناس، فهو قادر على إذهابهم ولا يضره شيء في ذلك4، ومن هنا فإن هذه المشيئة متعلقة بقدرته سبحانه وتعالى على إهلاك الناس جميعاً من ناحية، وبغناه عنهم جميعاً.

---

[1]. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 4، ص: 181.

[2]. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 7، ص: 68.

[3]. البغوي. معالم التنزيل، ج: 2، ص: 159.

[4]. البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 2، ص: 183.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، الأنعام: 137.

والمقصود هاهنا أنه لو شاء الله سبحانه وتعالى ما فعل هؤلاء المشركون ما فعلوه من قتل أولادهم، فالمشيئة هاهنا متعلقة ببعض أفعال أهل الشرك(1).

في قوله سبحانه: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ﴾، الأنعام: 148.

والمقصود هاهنا على لسان المشركين، فهم يدعون أن إشراكهم وما يقومون به من تغيير للأعمال والعقائد ما هو إلا بمشيئة الله، إذ لو شاء الله ما فعلوا ذلك، وهذا بزعمهم هم(2).

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، الأنعام: 149.

فالآية تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ هداية الكافر، لأنه لو شاء لهداه(3).

سورة الأعراف:

وفي قوله سبحانه: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾، الأعراف: 89.

---

[1] . النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 541.

[2]. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 4، ص: 202.

[3]. البغوي. معالم التنزيل، ج: 2، ص: 169.

والمقصود هاهنا على لسان المؤمنين أنهم لن يعودوا في الملة الكافرة إلا إذا كان الله سبحانه وتعالى قد قضى لهم بذلك، فهذا من مشيئته سبحانه، فالمشيئة هنـــا مختصة بالهداية(1).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، الأعراف: 128.

أي أن الله سبحانه وتعالى بمشيئته يؤيد من يريد من عبـــاده حتـــى يجعلهـــم خلفاءه في الأرض2.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، الأعراف: 188.

والمقصود هاهنا أن العبد ــ حتى لو كان نبياً ــ يبقى قاصـــراً عـــن العلـــم الإلهي الكبير، فهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله ســـبحانه وتعـــالى، فالمشيئة هاهنا متعلقة بالأعمال(3).

سورة يونس:

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، يونس: 16.

والمقصود هاهنا أنه لو شاء الله سبحانه وتعالى لما تلا النبي هذه الآيات على الكافرين، وما عرفوا من ذلك شيئاً، وما هذا إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى(4).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، يونس: 25.

---

[1]. البغوي. معالم التنزيل، ج: 2، ص: 215.

[2]. الزمخشري. الكشاف، ج: 2، ص: 143.

[3]. الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 15، ص: 425.

[4]. البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 3، ص: 108.

ويقول سبحانه أيضاً: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾، يونس: 49.

والمقصود بالمشيئة هاهنا الأعمال، فلا يملك أحد لنفسه ضراً ولا نفعاً(1).

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾، يونس: 99.

والخطاب هاهنا للنبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمقصود أنه لو شاء الله لآمن به كل من في الأرض، ولكن الله لم يشأ أن يصدق به إلا من سبقت له الهداية والسعادة، فالمشيئة هاهنا متعلقة بالهداية(2).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، يونس: 107.

سورة هود:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾، هود: 33.

والمقصود هاهنا أن العذاب ينزل بأمر الله تعالى حين إرادته نزوله، ولا شيء يمنعه، فمتى اقتضت حكمته إنزال العذاب نزل(3).

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، هود: 107.

والمقصود بالمشيئة هاهنا مشيئة الله سبحانه وتعالى في المدة التي يمكثها أهل النار في العذاب(4).

---

[1]. القشيري. لطائف الإشارات، ج: 2، ص: 99.

[2]. الخازن. لباب التأويل، ج: 2، ص: 466.

[3]. الزمخشري. الكشاف، ج: 2، ص: 391.

[4]. انظر: الماوردي. النكت والعيون، ج: 2، ص: 505.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾، هود: 118.

سورة يوسف:

وفي قوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، يوسف: 56.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، يوسف: 76.

والمقصود بالمشيئة هاهنا التقدير الإلهي كي يأخذ يوسف أخاه في دين الملك1.

ويقول سبحانه على لسان يوسف الصديق: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، يوسف: 100.

أي إن الله سبحانه لطيف بعباده يجعل أمره فيهم حيث يصلح حالهم2.

سورة إبراهيم:

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، إبراهيم: 4.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، إبراهيم: 11.

والمشيئة هاهنا تتعلق بجانب الفضل الذي يؤتيه الله سبحانه وتعالى لأنبيائه، فهو يؤتيه من يشاء من عباده3.

---

[1]. القشيري. لطائف الإشارات، ج: 2، ص: 198.

[2]. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 2، ص: 636.

[3]. انظر: الجوزي. زاد المسير، ج: 2، ص: 506.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، إبراهيم: 19.

فالله سبحانه وتعالى يتصف بالقدرة المطلقة، فهو قادر على إعدام الموجود، وإيجاد العدم، وليس احد غيره يتصف بهذه الصفة1.

ومثلها أيضاً: ﴿وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ﴾، إبراهيم: 27.

سورة النحل:

في قوله تعالى أيضاً: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾، النحل: 2.

أي أنه سبحانه وتعالى يختار من رسله من يشاء2، فالمشيئة الإلهية هاهنا متعلقة بأمر النبوة.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، **النحل**: 9.

والمقصود هاهنا أن على الله سبحانه وتعالى تبيين سبيل الحق، ثم إنه لو شاء لجعل الناس كلهم متبعين لسبيل الهداية هذا(3).

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾، النحل: 35.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، النحل: 93.

---

[1]. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 2، ص: 164.

[2]. البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 3، ص: 219.

[3]. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 2، ص: 205.

سورة الإسراء:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾، الإسراء: 30.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾، الإسراء، 54.

والمقصود بالرحمة هاهنا الهداية إلى الحق، والعذاب، عدم الهداية إلى الحق، وقيل بأن الرحمة الجنة، والعذاب النار1.

سورة الكهف:

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً { 23 } إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً { 24 } ﴾، الكهف: 23 ــ 24.

وهذه الآية تشير إلى أن الإنسان يتوجب عليه إذا عزم على أمر مستقبلي ألا ينسى مشيئة الله سبحانه في تحقيق ذلك الأمر(2).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً﴾، الكهف: 39.

والمعنى الأمر ما شاء الله، أو هو ما شاء الله، والمقصود الجنة، وهذا متعلق بالمشيئة الإلهية في الرزق(3).

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أمْراً﴾، الكهف: 69.

وهذا وعد من موسى ــ عليه السلام ــ للعبد الصالح بالصبر معلقاً بمشيئة الله، فهذا مرتبط بالصبر(4).

---

[1]. الخازن. لباب التأويل، ج: 3، ص: 133.

[2]. الشوكاني. فتح القدير، ج: 3، ص: 330.

[3]. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 10، ص: 406.

[4]. الزمخشري. الكشاف، ج: 2، ص: 734.

سورة الحج:

في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، الحج: 18.

سورة المؤمنون:

في قوله سبحانه: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾، المؤمنون: 24.

والمقصود هاهنا أن قوم نوح قد أنكروا عليه أن يكون نبياً من عند الله تعالى، إذ لو أراد الله ــ بزعمهم ــ أن يرسل رسولاً لكان من الملائكة، فالمشيئة هاهنا متعلقة إلى حد ما بالهداية(1).

سورة الفرقان:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً﴾، الفرقان: 10.

وهو خطاب من الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم، يبين فيه أن الرزق بيده سبحانه، وأنه لو أراد لجعل لنبيه قصوراً عاليات، فهذه الآية مختصة بالمشيئة في باب الرزق(2).

في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾، الفرقان: 45.

والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى يجعل الظل ممدوداً قبل بزوغ الشمس وحين مغيبها، ولو شاء الله لأبقى الكون على هذا الحال(3).

سورة الشعراء:

في قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾، الشعراء، 4.

---

[1]. البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 4، ص: 83.

[2]. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 4، ص: 201.

[3]. الثعالبي. الجواهر الحسان، ج: 4، ص: 211.

والمقصود هاهنا من المشيئة قدرته سبحانه وتعالى على استخلاص ما يريده من عباده لو أراد كرهاً، أو طوعاً، فإنه قادر على ذلك[1].

سورة النمل:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾، النمل: 87.

والمقصود هاهنا إلا من ثبت الله سبحانه وتعالى قلبه من الصعق، وقيل هم الملائكة الأربعة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت(2).

سورة القصص:

في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، القصص: 56.

في قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، القصص: 68.

في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، القصص: 82.

سورة العنكبوت:

في قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾، العنكبوت: 21.

في قوله: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، العنكبوت: 62.

سورة الروم:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، الروم: 5.

---

[1]. القشيري. لطائف الإشارات، ج: 3، ص: 6.

[2]. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 2، ص: 623.

وترتبط المشيئة هاهنا بالنصر الذي يؤيد بـــه الله ســبحانه وتعـــالى عبـــاده المؤمنين1.

في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، الروم: 37.

وفي قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، الروم: 48.

فإنه سبحانه وتعالى يتصرف بالسحاب والرياح كيف يشاء2، فالمشيئة هاهنا متعلقة بالمطر.

وفي قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾، الروم: 54.

سورة سبأ:

في قوله سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾، سبأ، 9.

وتبين الآية الكريمة المشيئة الإلهية في نواحي القدرة على البعث، فإن هذه الآيات الظاهرة في السماوات والأرض تدل على قدرته سبحانه على البعث والنشور3.

وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، سبأ: 36.

وفي قوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، سبأ: 39.

---

[1]. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 2، ص: 690.

[2]. القشيري. لطائف الإشارات، ج: 3، ص: 123.

[3]. البغوي. معالم التنزيل، ج: 3، ص: 671.

سورة فاطر:

وفي قوله: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فاطر: 1.

في قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾، فاطر: 8.

وفي قوله: ﴿يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، فاطر، 16.

وفي قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾، **فاطر**: 22.

فقد شبه سبحانه وتعالى الكفار كالأموات الذين لا يسمعون اتعاظاً ولا يهتـــدون، والله سبحانه وتعالى وحده القادر على إسماع هؤلاء وهدايتهم1.

سورة يس:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾، يس، 43.

وتبين هذه الآية القدرة الإلهية على حمل الناس في البر والبحر، فإذا شاء سبحانه أن يقضي عليهم فلن يرد قضاءه شيء، فلا ينقذهم أحد من قدر الله2.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، يس: 47.

سورة الصافات:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، الصافات: 102.

---

[1]. البغوي. معالم التنزيل، ج: 3، ص: 692.

[2]. الزمخشري. الكشاف، ج: 4، ص: 18.

والآية تتحدث عن قصة ذبح إسماعيل عليه السلام، وكيف أنه استعان بالله تعالى للصبر على هذه المحنة، فالآية متعلقة بالصبر (1).

سورة الزمر:

في قوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، الزمر: 4.

في قوله: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾، الزمر: 23.

وفي قوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، الزمر: 52.

وفي قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾، الزمر: 68.

سورة غافر:

في قوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾، غافر: 15.

سورة فصلت:

في قوله سبحانه: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾، فصلت: 14.

والمقصود لو أراد الله دعوة الخلق إلى عبادته لأنزل ملائكة من السماء يـدعون لعبادته، وهذا كلام المشركين(2).

سورة الشورى:

وفي قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، الشورى: 8.

---

[1]. انظر: الزمخشري. الكشاف، ج: 4، ص: 54.

[2]. الجوزي. زاد المسير، ج: 4، ص: 48.

في قوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، الشورى: 12.

وفي قوله: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾، الشورى: 13.

وفي قوله: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾، الشورى: 19.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، الشورى، 24.

وهذه الآية متعلقة بمشيئته سبحانه وتعالى في تثبيت نبيه، فهو يربط على قلبـــه، ويعصمه من الافتراء على الله كما يدعي المشركون[1].

وفي قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾، الشورى: 27.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، الشورى، 33.

والحديث في هذه الآية عن الريح، فهو سبحانه وتعالى يجعلها سبباً في جريان السفن في البحر، ولو شاء سبحانه فإنه يسكن هذه الريح فتبقى السفن رواكـــد علـــى ظهر الماء لا تجري[2]، فهذه المشيئة متعلقة بالظواهر الكونية الدالـــة علـــى قدرتـــه سبحانه وتعالى.

وفي قوله: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾، الشورى: 49.

---

[1]. انظر: الماوردي. النكت والعيون، ج: 5، ص: 203.

[2]. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 4، ص: 56.

وفي قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، الشورى: 51.

سورة الزخرف:

في قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، الزخرف: 20.

ومعنى الآية أن الله لو شاء هدايتنا ما عبدنا هذه الأصنام، ولولا أنه راضٍ عن هذه العبادة لما أبقانا إلى هذا الوقت، وهذا كلام أهل الشرك، فالآية مختصة بالهداية(1).

سورة النجم:

في قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾، النجم: 26.

سورة المدثر:

في قوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾، المدثر: 31.

سورة الإنسان:

ويقول سبحانه: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾، الإنسان: 31.

سورة عبس:

في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾، عبس: 22.

أي: أحياه بعد موته، فالمشيئة هاهنا مختصة بالحياة والموت(2).

---

1. الخازن. لباب التأويل، ج: 4، ص: 107.
2. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 3، ص: 603.

سورة الانفطار:

في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، الانفطار: 8.

والمقصود بهذه الآية في أي خلقة شاءها الله سبحانه وتعالى وأرادها خلق الإنسان، وبأي نسب من آدم قربه(1).

سورة الأعلى:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾، الأعلى: 7.

والمقصود هاهنا أن النبي الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا ينسى القرآن الكريم الذي يقرؤه إياه جبريل إلا ما شاء الله سبحانه وتعالى له ذلك، وهي كناية عن طول المدة(2).

5.1 المشيئة الإلهية في القسم المدني:

ترد آيات السور المدنية في الحديث عن المشيئة الإلهية جنباً إلى جنب مع آيات السور المكية، وفيما يلي استعراض لمواضع الحديث عن المشيئة الإلهية في السور المدنية:

سورة البقرة:

في قوله سبحانه: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، البقرة: 20.

والمقصود هنا قدرة الله سبحانه وتعالى على الذهاب بسمع وبصر المنافقين المادية كما أذهب أسماعهم وأبصارهم الباطنة، فصاروا كالأنعام لا يعقلون(3)

---

[1]. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 4، ص: 436.

[2]. الزمخشري. الكشاف، ج: 4، ص: 738.

[3]. القشيري. لطائف الإشارات، ج: 1، ص: 67.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾، البقرة: 70.

والمقصود بالهداية هاهنا الوصول إلى تلك البقرة، أي: مهتدون إليها(1).

في قوله سبحانه: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، البقرة، 90.

والمقصود من المشيئة هاهنا اختصاص الله سبحانه وتعالى تنزيله للفضل من عنده على من يشاء من عباده وهو محمد صلى الله عليه وسلم2.

في قوله سبحانه: ﴿وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، البقرة، 105.

والمقصود بالرحمة هاهنا النبوة، وقيل الهداية3، فالآية متعلقة بالمشيئة الإلهية في جانب الهداية.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، البقرة، 142.

وهذه الآية الكريمة تتحدث عن أمر القبلة، فإن الله سبحانه وتعالى يوجه عباده حيث شاء من أركان أرضه، وهذا من هدايته سبحانه وتعالى لهم، فالآية متعلقة بالمشيئة الإلهية في جانب الهداية4.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، البقرة، 212.

---

[1]. البغوي. معالم التنزيل، ج: 1، ص: 129.

[2]. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 109.

[3]. انظر: البغوي. معالم التنزيل، ج: 1، ص: 153.

[4]. القشيري. لطائف الإشارات، ج: 1، ص: 132.

وهذه الآية تختص بمشيئته سبحانه وتعالى في الرزق، فهو يرزق من يشاء، ويعلم من يوسع عليه من عباده ممن يضيق عليهم1.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، البقرة، 213.

وتشير هذه الآية الكريمة إلى مشيئته سبحانه وتعالى في هداية الناس إلى الحق، فهو سبحانه وتعالى يهدي من يشاء إلى طريق الحق، ويضلل من يشاء2.

في قوله سبحانه: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، البقرة: 220.

والمقصود من المشيئة هاهنا قدرة الله سبحانه وتعالى على إعنات عباده، وقوله: لأعنتكم، مأخوذ من العنت وهي المشقة(3).

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، البقرة، 247.

وتشير هذه الآية الكريمة إلى مشيئته سبحانه وتعالى في جانب الملك4، والملك رزق من عنده سبحانه، فالمشيئة هاهنا متعلقة بالرزق.

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾، البقرة، 251.

فهذه الآية الكريمة تبين أن العلم من عنده سبحانه وتعالى5، وهذا العلم ما هو إلا رزق منه سبحانه، فالمشيئة هنا متعلقة بجانب الرزق أيضاً.

---

[1] . الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 255.

[2]. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 285.

[3]. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 184.

[4]. الجوزي. زاد المسير، ج: 1، ص: 223.

[5]. انظر: الإيجي. جامع البيان، ج: 1، ص: 181.

في قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، البقرة: 253.

وهذه المشيئة مشيئة إلجاء وقسر من الله سبحانه وتعالى لهؤلاء المقتتلين في الدين لتشعب مذاهبهم وتشتت أعمالهم(1).

في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، البقرة: 255.

والمشيئة هاهنا تختص بالعلم، إذ لا يحيط أحد بشيء من علم الله تعـــالى إلا بما شاء سبحانه(2).

في قوله سبحانه: ﴿وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، البقرة، 261.

تبين هذه الآية المشيئة الإلهية في مضاعفة الحسنات والاجور لمن يريد الله سبحانه وتعالى له ذلك3، فالمضاعفة هاهنا رحمة منه سبحانه وتعالى، إذن فالمشيئة متعلقة بالرحمة.

في قوله سبحانه: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾، البقرة، 269.

والمقصود بالحكمة هاهنا العلم والدين والكتاب، وغيرها من أمور العلم4، فهذا العلم ما هو إلا رزق منه سبحانه، والمشيئة هاهنا متعلقة بالرزق.

---

[1]. الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 298.

[2]. الراغب الأصفهاني. تفسير الراغب الأصفهاني، ج: 1، ص: 528.

[3]. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 2، ص: 258.

[4]. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 220.

ومما يشبه هذه الآية في المشيئة الإلهية في جانب الهداية قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، البقرة، 272.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، البقرة، 284.

وهذه الآية تشير إلى مشيئته سبحانه وتعالى في المغفرة لعباده أو تعذيبهم، فالأمر مختص به سبحانه، وهو يفعل ما يريد1.

سورة آل عمران:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، آل عمران: 6.

وتتعلق المشيئة هاهنا بمسألة الخلق التي يخلق الله سبحانه وتعالى الناس عليها، فهو سبحانه يقدر على خلقه ما يشاء، وهو على كل شيء قدير2.

في قوله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾، آل عمران: 13.

وتتحدث هذه الآية عن المشيئة الإلهية في إيقاع النصر والغلبة لمن يريد الله سبحانه وتعالى من عباده، فهو يؤيد بنصره المؤمنين، ويخذل الكافرين بإذنه3.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، آل عمران: 37.

وفي قوله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، آل عمران: 40.

---

[1]. البغوي. معالم التنزيل، ج: 1، ص: 397.

[2]. القشيري. لطائف الإشارات، ج: 1، ص: 220.

[3]. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 1، ص: 417.

تشير هذه الآية الكريمة إلى المشيئة الإلهية في ناحية قدرته سبحانه وتعالى على فعل كل شيء يريده1.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، آل عمران: 47.

وفي قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، آل عمران: 73.

وتعني هذه الآية الكريمة أن الهدى كله بيد الله سبحانه وتعالى، فهو يهدي من يشاء، ويضل من يشاء2.

في قوله سبحانه: ﴿وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، آل عمران: 74.

وتعني هذه الآية الكريمة أن الملك ملك الله، فمن شاء أضله، ومن شاء هداه، ومن شاء غفر له، ومن شاء عذبه، فهو المتصرف بهذه الأمور جميعاً3.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، آل عمران: 179.

وتتعلق المشيئة هاهنا باختيار الأنبياء حسب اجتباء الله سبحانه وتعالى لهم، فهو يجتبي من الناس رسلاً، ويجتبي من يشاء4.

سورة النساء:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾، النساء: 48.

---

[1]. انظر: البغوي. معالم التنزيل، ج: 1، ص: 437.

[2]. الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 374.

[3]. القشيري. لطائف الإشارات، ج: 1، ص: 276.

[4]. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 546.

ففي ربط المغفرة بالمشيئة إبقاء للمؤمنين على رجاء وخوف، وكذلك فإنه من مات وهو على ذنب دون الشرك بالله لم يقطع بعذابه، لأن أمره إلى الله1.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾، النساء: 49.

فالتزكية هنا مرتبطة بالمشيئة الإلهية، ولا يُعتد بكلام البشر ما لم تكن التزكية من الله سبحانه وتعالى2.

في قوله سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾، النساء: 90.

والمشيئة هاهنا متعلقة بتقوية قلوب هؤلاء المقاتلين كي يدفعوا عن أنفسهم القتال ضد المؤمنين(3).

ويقول سبحانه أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، النساء: 116.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾، النساء، 133.

وهذه المشيئة هاهنا تختص بقدرته سبحانه وتعالى على إهلاك جميع الناس دون أن يضره ذلك بشيء، فهو وحده القادر على الإحياء والإماتة4.

---

[1]. الجوزي. زاد المسير، ج: 1، ص: 418.

[2]. البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 2، ص: 78.

[3]. الماوردي. النكت والعيون، ج: 1، ص: 516.

[4]. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 2، ص: 122.

سورة المائدة:

في قوله تعالى أيضاً: ﴿وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، المائدة: 17.

في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، المائدة: 18.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، المائدة: 40.

في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، المائدة: 48.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، المائدة: 54.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، المائدة: 64.

لقد قالت اليهود هذه الكلمة بعد أن ضيق الله عليهم بسبب كفرهم برسالة سيدنا محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فقالوا هذه الكلمة، والقبض كناية عن البخل، والبسط كناية عن الكرم[1].

سورة التوبة:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، التوبة: 15.

---

[1]. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 459.

والمقصود بالتوبة هاهنا المغفرة والهداية، فإنه سبحانه يتوب على من يشاء، فيهديه للإسلام كما حصل مع أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل1.

وفي قوله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، التوبة: 27.

في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، التوبة: 28.

والمقصود هاهنا أن المسلمين خافوا الفقر لأن المشركين هم من كان يحمل إليهم التجارة والطعام، فخافوا الفقر إذا انقطع عنهم ذلك، فبيّن سبحانه وتعالى أنه إن شاء أغناهم من فضله، فالمشيئة هاهنا متعلقة بالرزق(2).

سورة الرعد:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾، الرعد: 13.

والمشيئة هاهنا تتعلق بقدرته سبحانه وتعالى فهو يصيب بهذه الصواعق من يشاء من عباده، ويعذب بها من يشاء3.

وفي قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾، الرعد: 26.

وفي قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾، الرعد: 27.

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، الرعد: 31.

---

[1]. البغوي. معالم التنزيل، ج: 2، ص: 322.

[2]. الجوزي. زاد المسير، ج: 2، ص: 249.

[3]. انظر: الزمخشري. الكشاف، ج: 2، ص: 519.

فهذه الآية الكريمة تبين أن هداية الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين بمشيئته، كما أن ضلال الكافرين بمشيئته أيضاً، ولو حصل ما حصل من الأمور الخارقة فلن يهتدي الكافرون إلا أن يشاء الله سبحانه(1).

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، الرعد: 39.

فهو سبحانه ينسخ ما يشاء من أحكامه وكتبه، ويثبت ما يشاء2، فالمشيئة هاهنا متعلقة بقضاء الله وقدره.

سورة النور:

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، النور: 21.

وفي قوله أيضاً: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، النور: 35.

وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، النور: 38.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾، النور: 43.

وفي قوله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، النور: 45.

وفي قوله أيضاً: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، النور: 46.

---

[1]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 6، ص: 388.

[2]. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 2، ص: 158.

سورة الأحزاب:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾، الأحزاب: 24.

سورة محمد:

وفي قوله سبحانه: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، محمد: 4.

سورة الفتح:

وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾، الفتح: 14.

وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾، الفتح: 25.

في قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾، الفتح: 27.

وهذا الاستثناء في قوله: إن شاء الله، إنما جاء من أجل تعليم العباد أهمية استيقان المشيئة الإلهية(1).

سورة الحديد:

في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، الحديد: 21.

ومثلها أيضاً: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، الحديد: 29.

سورة الجمعة:

وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، الجمعة: 4.

---

[1]. الإيجي. جامع البيان، ج: 4، ص: 163.

ومن خلال ما سبق من الحديث عن المشيئة الإلهية ضمن القسمين المكي والمدني في كتاب الله تعالى يظهر لنا النتائج الآتية:

أولاً: كان الحديث عن المشيئة الإلهية ضمن القسم المكي أكثر من الحديث عنه ضمن القسم المدني.

ثانياً: تتوافق آيات القسم المكي مع آيات القسم المدني في الحديث عن المشيئة الإلهية وارتباطها بسائر الموضوعات الأخرى، كعلاقة المشيئة بالرزق، وعلاقتها بالعذاب والثواب، وعلاقتها بالهداية والضلال، وهكذا، فإن كلا القسمين يتحدث عن المشيئة الإلهية ضمن هذه الأبواب.

ثالثاً: يظهر لنا بعض الارتباطات بين ميزات السور المكية وميزات السور المدنية في الحديث عن المشيئة، فإن من ميزات السور المكية أنها تعرض لقصص السابقين، فامتزجت المشيئة الإلهية مع قصص هؤلاء السابقين، كما رأينا مثلاً في قصة يوسف عليه السلام، وقصة موسى مع الخضر عليه السلام، إذ يرد الحديث عن المشيئة الإلهية على ألسنة هؤلاء السالفين، وهو ما يربط المشيئة الإلهية بخصائص هذه السور.

6.1المشيئة الإلهية والفاصلة القرآنية:

يختلف ارتباط المشيئة الإلهية بالمعاني من آية إلى أخرى، وإن كان اللفظ في بعض الأحيان متشابهاً، خاصة أن هذا الارتباط قد يتصل في بعض الأحيان بسياق الآيات القرآنية، وطبيعة الدلالة والمعنى القرآني المرتبط بهذه المشيئة، ولكي نوضّح هذا الأمر نبيّن الآيتين الآتيتين:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، (سورة آل عمران، آية: 40).

أما الآية الأخرى فهي قوله سبحانه: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، (سورة آل عمران، آية: 47).

فمع عيسى – عليه السلام – قال سبحانه: كذلك الله يخلق ما يشاء، إذ إنه سبحانه وتعالى أراد الكينونة من العدم، لذلك قال: يخلق، لأن الكينونة من العدم تقتضي الخلق لا الفعل(1).

أما مع زكريا – عليه السلام – فإنه قال: كذلك الله يفعل ما يشاء، وهذا بيان لفعله سبحانه وتعالى من ولادة الولد من شيخ عجوز، وامرأة عاقر، فإن هذا من فعل الأعاجيب، ولذلك قال سبحانه: كذلك الله يفعل ما يشاء(2).

ويبين ابن عطية جمال هذه العبارة القرآنية بقوله: " وجاءت العبارة في أمر زكريا يفعل وجاءت هنا، يَخْلُقُ من حيث أمر زكرياء داخل في الإمكان الذي يتعارف وإن قل وقصة مريم لا تتعارف البتة، فلفظ الخلق أقرب إلى الاختراع وأدل عليه"(3).

ولما كان أمر عيسى – عليه السلام – بعيداً عن المألوف، وهو أمر خارق للعادة، منافٍ للطبيعة، ناسب أن يأتي معها قوله سبحانه وتعالى: "يخلق ما يشاء"؛ لأن الخلق يعني ابتداع الشيء دون سابق مثال، فلما لم يكن أمر الخلق لعيسى – عليه السلام – مشابه لما عليه عادة البشر ناسب أن يأتي معه قوله سبحانه: "يخلق ما يشاء"(4).

ويظهر لنا مما سبق تناسب الفاصلة القرآنية مع قوله سبحانه وتعالى في كلا الآيتين، فإنه سبحانه وتعالى مع سيدنا زكريا – عليه السلام – قال: "يفعل ما يشاء" على اعتبار أن ما جرى مع عزكريا – عليه السلام – تقبله الطبيعة، وله سابق مثال في البشر من قبل، وأمر ولادة يحيى من الشيخ الكبير، والامرأة العاقر أمر تقبله الطبيعة البشرية بالرغم من قلته وندرته، لذا بيّن سبحانه أن هذا من فعله.

أما في قصة عيسى – عليه السلام – وسيدتنا مريم – عليها السلام – فإن الأمر مختلف، إذ ليس هناك طبيعة تقبل أن يولد مولود دون أب، إلا إذا كان ذلك

([1]) البغوي. معالم التنزيل، ج: 1، ص: 441.

([2]) الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 359 – 360.

([3]) ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 437.

([4]) البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 2، ص: 17.

من خلق الله تعالى، فناسب أن يقول سبحانه "يخلق" على أساس الابتداع والابتكـــار الذي لا سابق له، إذ الخلق مختلف عن الفعل، لأن الخلق إيجاد من عدم.

ومن خلال هذا المثال يتضح لنا كيفية مجيء الفاصلة القرآنية مناسبة لمعنى الآية الكريمة، ومناسبة لموضوع المشيئة الإلهية ضمن هذه الآيات الكريمة.

الفصل الثاني

المشيئة الإلهية في الهداية والمغفرة

يشير هذا الفصل إلى الحديث عن مشيئته سبحانه وتعالى وتغاير أمور العباد بين مهتدٍ وضال، وبين مغفور له ومُعذّب بذنوبه، فإن الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويغفر لمن يشاء ويُعذب من يشاء، ومن هنا فقد جاء هذا الفصل ليتناول الحديث عن هذه النواحي التي تتعلق بانقسام الناس بين صفين: صف الحق المتمثل بالمغفرة والهداية، وصف الباطل: المتمثل بالضلال والعذاب، فهو إذن على مبحثين اثنين:

المبحث الأول: المشيئة والهداية والضلال.

المبحث الثاني: المشيئة والعذاب والمغفرة.

1.2 المشيئة والهداية والضلال:

لقد ربط القرآن الكريمة بين المشيئة الإلهية وموضوع الهداية والضلال، فإنه سبحانه وتعالى في غير موضع من كتابه العزيز بيّن أن أمر الهداية أمر متعلق بمشيئته سبحانه، فقد يرغب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في هداية أحد من الناس، غير أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب له تلك الهداية، وهنا فإن رغبة النبي الكريم لا تكون سبباً في هداية ذلك الشخص، بل إنه يبقى على ضلاله، وإنه سبحانه وتعالى هو المتصرف بأمر هذه الهداية، يقول سبحانه وتعالى في هذا المعنى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة القصص، آية: 56) .

وفيما يلي سيعرض الباحث موضوع الهداية والمشيئة الإلهية، وذلك بعد أن يوضح الباحث مفهوم الهداية.

1.1.2 **مفهوم الهداية:**

يشير ابن منظور إلى أن الهدى والهداية مصدران يدلان على معنى واحد، وهو الطريقة المستقيمة، واهتدى فلان ضد الضلال، ويقال: اهتدوا بهدي فلان، أي سيروا سيره، وعن عبد الله بن عباس قال: إن أحسن الهدي هدي محمد، أي أحسن الطريق والهداية والطريقة والنحو والهيئة، وكل متقدم في الركب هادٍ، أي يهدي الناس في طريقهم ومسيرهم(1).

وعلى هذا المعنى اللغوي للهداية يتبين أن الهداية تأخذ جانب الطريقة والهيئة، والمسيرة، وغيرها، مما يجمعها في معنى الاستقامة في نظر الباحث، فالهداية الوصول إلى الطريق القويم، والسبيل المستقيم، والهيئة المرضي عنها، فهي إذن بمعنى الاستقامة في كل أحوال الإنسان، سواء في مظهره أو في مخبره، وهو ما يدل عليه المعنى اللغوي.

وهذا المعنى اللغوي ذو ارتباط وثيق بالمعنى الاصطلاحي للهداية، إذ يقول الجرجاني مبيناً معنى الهداية: "الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب"(2).

فمفهوم الهداية عند الجرجاني يتصل بجانبين اثنين هما:

الجانب الأول: الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وفي هذا الجانب لا يظهر لنا اتباع أمر ما كي يصل الطالب إلى المطلوب، وإنما يقتصر معنى الهداية على الدلالة على ما يوصل إلى هذا المطلوب.

الجانب الثاني: سلوك طريق يوصل إلى المطلوب، أي أن هذه الهداية كي تتحقق يتوجب على الطالب أن يسلك سبيلاً أو طريقاً من أجل الوصول إلى ذلك المطلوب، فهو يمثل غايته، والهداية تتمثل في اتباع أي سبيل يؤدي إلى هذا المطلوب الذي هو غاية الطالب.

([1]) ابن منظور. لسان العرب، ج: 15، ص: 356.

([2]) الجرجاني. التعريفات، ص: 256.

ويتفق المناوي مع الجرجاني في مفهومه للهداية، غير أنه أضاف على الجزء الأول من المفهوم لفظ "بلطف"، فقال: "الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب(1)"، وهو المعنى ذاته الذي ذكره الجرجاني سابقاً.

وعموماً فإن الهداية تختص بالدلالة على المطلوب وإن لم يسلك ذلك الطالب سبيل الوصول إلى ذلك المطلوب، فإن الهداية تتحقق بمجرد قدرته على الوصول إلى ذلك المطلوب، وإن كان بعض العلماء قد جعل الهداية خاصة بالوصول إلى المطلوب وليس فقط الدلالة عليه، والقدرة على الوصول إليه، وذلك ناشئ من طبيعة التضاد بين مفهوم الهداية ومفهوم الضلال، فإن لم يصل الطالب إلى مطلوبه بالهداية فإنه قد ضل، والواقع أن هذا الأمر لا يصح، فمجرد قدرة الطالب على الوصول إلى مطلوبه يعد هداية، وإن لم يسلك ذلك الطالب سبيل الوصول، والدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة فصّلت، آية: 17)، فقد بيّن سبحانه وتعالى أنه قد هدى ثمود، ولكنهم لم يسلكوا سبيل الهداية تلك، ورغبوا في الضلال، فضلّوا، فهذا دليل على أن الهداية ليست مختصة بوصول الطالب إلى المطلوب، وإنما هي مختصة بقدرة ذلك الطالب على الوصول إلى المطلوب، فإن سلك السبيل الموصل إلى مطلوبه كان مهدياً، وإن لم يسلك ذلك السبيل أو تلك السبل كان ضالاً(2).

ولا يختلف المفسرون مع أصحاب كتب الاصطلاح في مفهومهم للهداية، إذ يشير القشيري إلى أن الهداية ما هي إلا الدلالة على طريق الخير والصلاح، ولا تكون إلا بمنته سبحانه وتعالى للمؤمنين من خلقه(3)، كما يشير أبو السعود في تفسيره إلى أن الهداية الدلالة على ما يوصل إلى البغية، وليس ما يوصل إليها على

---

(1) المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 343.

(2) الكفوي. الكليات، ص: 952.

(3) القشيري. لطائف الإشارات، ج: 1، ص: 395.

وجه القطعية، إذ يكفي أن توصف الهداية بالدلالة على ما يوصل إلى البغية(1)، وبهذا الكلام قال الخلوتي أيضاً(2)، والأنجري(3).

ومن خلال ما سبق فإنه يمكننا أن نلمح علاقة وثيقة بين الهداية والضلال، وهذه العلاقة الوثيقة تتمثل بالتضاد بين هذين المصطلحين والمعنيين، فالضلال ضد الهداية، والضلال يصل إلى مرحلة الاعتقاد الجازم بأن الباطل حق، والصدق كذب، والقبح جميل، فهذا الاعتقاد ينافي الحقيقة والواقع، ومن هنا سُمي ضلالاً، وهو عكس الهداية(4).

وكذلك فإن الباحث يشير إلى علاقة وثيقة بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي للهداية، فكما أشرنا من قبل إلى أن المعنى اللغوي يدل على الاستقامة، والهيئة، والطريق، وكلها أشياء تدل على مفهوم الدلالة على المطلوب، فإن الطالب لا بد له من سلوك طريق أو سبيل أو هيئة أو طريقة أو مسيرة محددة كي يصل إلى مطلوبه، ومن هنا يظهر لنا الترابط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

2.1.2 أنواع الهداية:

وتنقسم الهداية في الشريعة إلى نوعين اثنين هما(5):

النوع الأول: الهداية التوفيقية، وهي مختصة بتوفيق الله سبحانه وتعالى لأحد من خلقه إن يسلك الطريق المستقيم، وأن يتبع سبل الخير والرشاد، ولا يتبع سبيل الضلال، فهذا النوع توفيق من الله سبحانه وتعالى، وليس لأحد من البشر يد في إتمامها إذا لم يرد الله سبحانه ذلك، وهي الهداية المقصودة بقوله سبحانه وتعالى:

([1]) أبو السعود، العماد محمد بن محمد بن مصطفى (د.ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 167.

([2]) الخلوتي. روح البيان، ج: 10، ص: 449.

([3]) الأنجري. البحر المديد، ج: 7، ص: 313.

([4]) السيوطي. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص: 202.

([5])الشعراوي، محمد متولي (1997م). تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى، ج: 13، ص: 8228.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة القصص، آية: 56).

فهذه هي الهداية المقصودة في الآية القرآنية الكريمة، وهي أيضاً التي نفتها الآية الكريمة عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإنه لا يهدي من يريد من الناس، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الهادي لمن يشاء، فلا بد لتحقق هذا النوع من الهداية من وجود المشيئة الإلهية.

النوع الثاني: وهي هداية الدلالة والإرشاد، أي هي تلك الهداية التي تعني بيان سبل الخير للناس، وتوضيح طريق الرشاد، ولكن لا تكون هذه الهداية على سبيل الإجبار أو القصر كي يتبع الناس تلك السبل، وإنما تختص فقط بتبيين تلك السبل، وتوضيحها للناس كافة على وجه الدلالة، ثم يأتي بعد ذلك دور الهداية التوفيقية من الله سبحانه وتعالى كي يدخل هذا الإنسان في رحمة الله تعالى، وهذا النوع هو المقصود بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الشورى، آية: 52).

أثبت سبحانه وتعالى لنبيه الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ هداية الإرشاد والدلالة، فإن عليه صلوات الله وسلامه أن يدل الناس على الطريق المستقيم، وسبيل النجاة بطاعة الله سبحانه وتعالى، ثم إنه لا يملك لهم أكثر من ذلك، فما عليه إلا البيان والإرشاد، والناس يقررون أيهتدون أم لا يهتدون.

وتبين لنا فيما سبق نوعي الهداية التي أوجدها الله سبحانه وتعالى وفق إرادته، وهما هداية الإرشاد والتبيين، وهداية التوفيق، وهذان النوعان للهداية يتكاملان ولا يتقاطعان، فإن الوصول إلى الهداية التوفيقية يقتضي قبل ذلك المرور بهداية الدلالة والإرشاد؛ لأن الإنسان يأخذ الدلالة والإرشاد، ثم يقرر أيهتدي أم لا يهتدي، فهداية التوفيق تالية على هداية الدلالة والإرشاد.

3.1.2 سبل الهداية:

إن الحديث عن سبل الهداية ليس بالأمر السهل؛ وذلك لأن سبل الهداية متعددة ومتنوعة، وما يمكن أن يعد في زمن من الأزمنة سبيلاً للهداية قد يعد في زمن آخر ليس سبيلاً للهداية، وهكذا أيضاً بالنسبة للأحوال، إذ تتغير سبل الهداية من حال إلى حال، غير أن الباحث في هذا المبحث سيحاول تسليط الضوء على أبرز سبل الهداية التي يمكن أن يصل إليها، وذلك توضيحاً منه لهذا الأمر المهم المتعلق بالهداية الربانية.

أوجد سبحانه وتعالى للناس سبلاً متعددة للهداية كي يتعرفوا إلى الحق، ويصلوا إلى الطريق المستقيم، وذلك عن طريق إرساله الرسل بالبينات والكتب السماوية من عنده سبحانه وتعالى، ومن بين أبرز هذه الكتب القرآن الكريم، فقد أودع فيه الخالق جلت قدرته كافة سبل الهداية، تلك السبل التي تقود الإنسان إلى تعرف الحق، والوصول إليه، واتباع طريقه، والحيد عن سبيل الغواية والضلال، فالآيات الكونية وغيرها من الآيات القرآنية الأخرى جميعها سبل قرآنية أودعها الخالق جل في علاه كتابه العزيز كي يتبين للناس سبيل الحق من سواه من السبل الباطلة، وهذه السبل في كتابه العزيز ترتبط بالنوع الأول من أنواع الهداية ألا وهو هداية الإرشاد والدلالة، ومن ثم فإن على الإنسان إذا تلقى هذه السبل أن يتبعها حتى يصل في نهاية الأمر إلى توفيق الله سبحانه وتعالى ليتبع سبيل الرشاد(1).

إن الله سبحانه وتعالى في إيجاده لسبل الهداية لم يدع للناس حجة في الحديث عن عدم وصول الهداية إليهم، فبدءاً من الكتب السماوية إلى إرسال الرسل، الذين يبينون للناس ما هم عليه من الباطل، ويحاولون توضيح جوانب الضلال في أعمالهم، ويدلونهم على طريق الاستقامة والخضوع لله سبحانه وتعالى، ويبذل الرسل في سبيل ذلك شتى أشكال الوسائل التي يمكن من خلالها توضيح سبل الهداية لهؤلاء الناس، وذلك بالحوار، والدعوة الصادقة، واستخدام الرأي والتفكير في دعوة هؤلاء

([1]) الوعلان، عبد الحميد بن محمد (1433هـ). الآيات الكونية دراسة عقدية، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ــ السعودية، ص: 145.

الضالين عن سبيل الحق، والاجتهاد ما أمكنهم ذلك من أجل هداية الناس، هذه هي السبل التي كان يتبعها الرسل والأنبياء في إيصال الهداية للناس، ودلهم إلى طريق الحق والصواب، فمن يهده الله يشرح صدره للإيمان، ومن لم يرد سبحانه وتعالى له الهداية يبقى على باطله وضلاله(1).

وتظهر هذه السبل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، (سورة النحل، آية: 125).

وربما تستغلق السبل عند الرسل والأنبياء في محاولة هداية الناس من حولهم، فإن بعض الناس لم يكتب لهم سبحانه وتعالى الهداية، فمهما بذل الرسول من جهد ورأي وحجة ودليل من أجل إقناعه لاتباع سبل الهداية فإنه لا يتبعها، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ (سورة النساء، آية: 88)، فهذه الآية الكريمة صريحة الدلالة على أن الله سبحانه وتعالى قد كتب على بعض عباده أنهم لن يؤمنوا لرسولهم، ومن هنا فإنه مهما بذل الرسول من جهد في إقناعهم، وحاول بالحجة والبرهان والدليل أن يسوقهم إلى الهداية فإنه لن يستطيع، وذلك لأنهم قد حقت عليهم كلمة الله سبحانه وتعالى بأنهم لا يؤمنون(2).

ومن سبل الهداية أيضاً شيوع العلم بين أفراد الجماعة البشرية، فإن في شيوع هذا العلم يستطيع الناس أن يصلوا إلى تلك الهداية، كما يمكنهم أن يصلوا إلى سبل أخرى للهداية، فهذا السبيل من سبل الهداية يفضي إلى غيره من السبل، ومن ناحية عكسية فإن كتمان هذا العلم يؤدي إلى وقوع الناس في الضلالات، والابتعاد عن الهداية، بل والضياع عن سبلها، فلا يجد الناس سبيلاً للهداية، وتنقلب الأوضاع

([1])رضا، محمد رشيد بن علي (1990م). تفسير المنار، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ــ مصر، ج: 5، ص: 383.

([2]) المراغي، أحمد بن مصطفى (1946م). تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى، ج: 5، ص: 188.

كلها، وتسد مسالك الخير، إذ لا هادي إلا أن يرحم الله سبحانه وتعالى عباده بها، ويرشدهم إليها، لذا فإن كتمان العلم يعد فساداً في الأرض، وذلك لما له من أثر عظيم في ضياع سبل الهداية، إذ يقول الله سبحانه وتعالى مبيّناً أهمية العلم في هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، (سورة فاطر، آية: 28).

ومن بين السبل التي أوجدها الله سبحانه وتعالى للهداية ما يكون معتمداً على غيره من السبل الأخرى، كالفطرة التي فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليها، والطبيعة التي خلقهم سبحانه بها، فإن الفطرة السليمة والطبيعة الصحيحة تقود الإنسان إلى معرفة الحق من الباطل، والوصول إلى الهداية بإذن الله سبحانه وتعالى، غير أن هذه الفطرة لا تصلح وحدها أن تكون سبيلاً للهداية، وطريقاً للرشاد والابتعاد عن الضلال والباطل؛ وذلك لأنها مجهولة وغائمة وغير منضبطة، وإنما يتوجب أن تدعم هذه الفطرة بسبل أخرى من سبل الهداية كي يتحقق للإنسان هدايته ورشده، فالفطرة وحدها لا تصلح أن تكون سبيلاً للهداية والرشد(1).

ومن بين أبرز سبل الهداية أيضاً التفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى، فإن التفكر بما خلق سبحانه وتعالى من حولنا يقود الإنسان بفطرته السليمة إلى معرفة الحق، واليقين بأن الله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد المتفرد بالألوهية دون غيره من سائر المعبودات التي لا تضر ولا تنفع، فالتفكر يختص بإعمال العقل والتفكير في ما يدور حول العبد من أحوال كونية، أو طبيعية، مما يقوده إلى التوصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، والتوصل إلى معرفة شبه يقينية من خلال هذا التفكر والتدبر، لذا فإن هذا السبيل من أهم سبل الهداية التي أوجدها الله سبحانه وتعالى لعباده في هذه الحياة الدنيا(2).

([1])الزحيلي، وهيبة بن مصطفى (1418هـ). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق ـ سوريا، الطبعة الثانية، ج: 2، ص: 250.

([2]) انظر: الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (2001م). درة التنزيل وغرة التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، معهد البحوث

إذ يقول الله سبحانه وتعالى مبيّناً قيمة التفكر في ما خلق سبحانه من الأرض والكون من حولنا، وأن هذه المخلوقات سبيل للهداية: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾، (سورة الأنبياء، آية: 31).

ومن هنا فقد تبين لنا أن أبرز سبل الهداية تتمثل بما يلي:

1 . إرسال الرسل والأنبياء.

2 . إنزال الكتب السماوية.

3 . إشاعة العلم بين العباد.

4 . التفكر في خلق الله سبحانه وتعالى.

5 . الفطرة السليمة والطبيعة القويمة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا السبيل لا بد له من سبل أخرى تقف إلى جانبه كي تتحصل الهداية.

إن هذه السبل تمثل أبرز السبل التي أوجدها الله سبحانه وتعالى لهداية العباد ولإخراجهم من الضلالة إلى الهدى، وليست هي السبل المحددة وحدها فحسب، بل هناك سبل أخرى كثيرة تتعدد وتتنوع، كما أنها تتشابك مع سبل أخرى من أجل الوصول إلى الهداية المرجوة من هؤلاء العباد، ولكن الباحث أشار إلى أبرز هذه السبل فحسب.

4.1.2 آيات المشيئة الإلهية والهداية:

تحدثت آيات القرآن الكريم عن المشيئة الإلهية في موضوع الهداية والضلال، وهذا الحديث كان مرتبطاً في بعض الأحيان بالمشركين، وفي أحيان أخرى بأهل الكتاب، وفي بعض بأهل الإسلام، وكان المقصود بالهداية في بعض الحق والإيمان، والبعد عن سبيل الضلال والشرك، وفي بعض قُصد من الهداية اتباع سبيل من السبل يؤدي إلى نسك إيماني معين، ولا يصل إلى حد الدلالة على الإيمان بأجمعه، وفيما يلي توضيح الباحث أبرز المواضع القرآنية التي تحدثت عن المشيئة

العلمية، وزارة التعليم العالي، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها: 30، مكة المكرمة ــ السعودية، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 812.

الإلهية والهداية والضلال، يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة، آية: 70).

تناولت هذه الآية الكريمة الحديث عن بقرة بني إسرائيل، فقد استعصى أمر الوصول إليها، فلما سألوا موسى ــ عليه السلام ــ هذا السؤال الأخير استثنوا بقولهم: إن شاء الله، فربطوا الوصول إلى تلك البقرة بالمشيئة الإلهية، وسموا ذلك الوصول إليها بالهداية، فقالوا: لمهتدون، أي: لمهتدون إلى تلك البقرة(1).

ولولا أن بني إسرائيل استثنوا بهذه العبارة ــ إن شاء الله ــ لما وصلوا إلى تلك البقرة أبداً، فإن قولهم هذه العبارة جعل الله سبحانه وتعالى مالك الهداية يهديهم إلى تلك البقرة، ويوصلهم إليها، حتى يفعلوا ما أُمِروا به(2).

ارتبط معنى الهداية في الآية الكريمة بالقاتل وليس بالبقرة، على أن المعنيين محتملان في الآية الكريمة، فإما أن تكون الهداية للبقرة التي أُمِروا بذبحها، أو أن تكون الهداية للقاتل الذي لم يصلوا إليه، وعلى الوجهين فإن بني إسرائيل ربطوا الهداية من أجل الوصول إلى تلك البقرة بالمشيئة الإلهية(3).

غير أن الباحث يرى أن المقصود بالهداية في الآية الكريمة هدايتهم إلى تلك البقرة، وذلك اتباعاً للسياق القرآني في الآية الكريمة، فإن سياق الآية يتحدث عن البقرة، لذا فإن من الأولى اعتبار قولهم: لمهتدون، أي: لمهتدون إلى البقرة أولى من اعتباره لمهتدون إلى القاتل.

وبنو إسرائيل حين أُمِروا بذبح هذه البقرة شددوا في صفتها، فلما شددوا شدد الله سبحانه وتعالى عليهم، ولكنهم حين استثنوا بالمشيئة الإلهية هداهم الله إلى تلك البقرة، فإن قولهم: إن شاء الله لمهتدون، يعني إنك يا موسى إذا بيّنت لنا ما هي تلك البقرة فإنا إن شاء الله لمهتدون إليها، وسبب عدم هدايتهم إلى تلك البقرة أن الصفات

---

(1) البغوي. معالم التنزيل، ج: 1، ص: 129.

(2) ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 163.

(3) البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 1، ص: 87.

الأولى من الصفرة والعوان لم تكن مميزة تماماً لتلك البقرة، فالأبقار التي تحمل هاتين الصفتين كثيرة، لذا طلبوا زيادة البيان في سؤالهم الأخير(1).

تحدثت الآية الكريمة عن الهداية، ولكن لم يُقصد من هذه الهداية الوصول إلى الإيمان أو الإسلام، بل قُصد من هذه الهداية الوصول إلى غاية مبتغاة من قبل جماعة من الناس هم بنو إسرائيل، وتمثلت تلك الغاية بمعرفة البقرة التي أمر الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ بأن يأمرهم بذبحها كي يتعرفوا إلى القاتل، وهذا متوافق كما رأينا سابقاً مع مفهوم الهداية، فإن المقصود بها الوصول إلى مطلوب يبحث عنه الطالب، وذلك من خلال الأخذ بطريق معين يؤدي إلى هذا المطلوب.

ومن ناحية أخرى فقد ظهر لنا من خلال نص الآية الكريمة أن المشيئة الإلهية هي وحدها المتحكمة بأمور الهداية، فسياق الآيات السابقة لهذه الآية الكريمة يدلنا على أن الوصول إلى الغاية دون معونة المشيئة الإلهية لن يحصل، فهم ــ أي بنو إسرائيل ــ في أسئلتهم السابقة لم يربطوا بين الهداية والمشيئة، فلم يقدر لهم سبحانه وتعالى الوصول إلى تلك البقرة، ولكنهم لما اشترطوا المشيئة الإلهية في هدايتهم إلى تلك البقرة هداهم الله سبحانه وتعالى إليها، فالمشيئة الإلهية هي التي يمكن بمعونتها الوصول إلى أي مطلوب يُبتغى من قبل أحد من البشر.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة البقرة، آية: 213).

تحدثت الآية الكريمة السابقة عن مشيئته سبحانه وتعالى في هداية الناس إلى طريق الحق، فهو سبحانه يهدي من يشاء إلى تلك الطريق الموصلة إلى الاستقامة، والتي عبر عنها بلفظ: صراط مستقيم(2).

(1) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1999م). تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، جدة ــ السعودية، الطبعة الثانية، ج: 1، ص: 300.

(2) ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 285.

إن الآية الكريمة تتحدث عن اختلاف جرى بين الناس بعد أن كانوا أمة واحدة، غير أنهم اختلفوا بعد أن أنزل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والكتب السماوية، ولقد كان اختلاف الناس في أغلبه داخلاً في الدين، فالاختلاف عموماً ديني، فلما كان ذلك هدى الله سبحانه وتعالى المؤمنين إلى الحق فيما اختلفوا فيه من أمور دينهم، سواء أكان ذلك الاختلاف خاصاً بالأنبياء، أم بالكتب، أم بالجمعة، أم بغير ذلك، وعقّب سبحانه وتعالى على هذا كله بقوله: والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، أي إنه سبحانه وتعالى قد قرر أن الهداية لا تحصل إلا بمشيئته وحده سبحانه، فهو الذي يهدي قوماً، ويضل آخرين(1).

إن ما اختلف فيه الناس يتمثل بالحق، وهذا الحق يتمثل بالدين نفسه، وذلك مفهوم من خلال قوله سبحانه: من الحق، فـ "من" هاهنا تفيد التبعيض، والتبعيض مضاف إلى الحق، إذن فإن الاختلاف واقع في هذا الحق، وفي قوله سبحانه: والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، في هذه الجملة دليل على أن هداية العبد وضلالة بيد الله سبحانه وتعالى، وهي خاضعة لمشيئته، فلا يهتدي عبد إلا بعد أن يشاء له الله ذلك، وفي هذا رد على المعتزلة الذين يرون أن هداية العبد بيده، وأنها ليست بمشيئته سبحانه وتعالى(2).

إن هداية الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين في اختلافهم بأمور الدين ناتجة عن توفيقه سبحانه وتعالى لهم للخير، كما أنها ناتجة عن تلك المشيئة الإلهية التي اقتضت أن تصيب الهداية أولئك المؤمنين الذين اختلفوا في الحق.

ومن هنا فإن الهداية في هذه الآية الكريمة لم يكن يُقصد منها الوصول إلى الإيمان، وإنما كان القصد منها الوصول إلى إنهاء الاختلاف في أمور الدين، وصحيح أن هذا من الإيمان، لكنه ليس بالمعنى الكلي، بل كان المعنى مختصاً بجانب جزئي فحسب.

ثم إن الهداية في هذه الآية الكريمة قد أصابت أناساً مؤمنين، فإن الله سبحانه وتعالى قد هدى هؤلاء المؤمنين إلى الحق في أمور دينهم، وأبعدهم عن الاختلاف

([1]) الجوزي. زاد المسير، ج: 1، ص: 178.

([2]) أبو حيان. البحر المحيط، ج: 2، ص: 369 ــ 371.

الذي يؤدي إلى ضلالهم، كما حصل مع اليهود والنصارى مثلاً حين اختلفوا في أمر إبراهيم، وأمر عيسى، وأمر الجمعة، وغيرها من القضايا الدينية التي أدت إلى ضلالهم.

وفي موضع آخر يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة البقرة، آية: 142).

بيّنت الآية القرآنية الكريمة أن بعض السفهاء من الناس اعترضوا على أمر تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وسواء أكان هؤلاء السفهاء من اليهود أم من النصارى، أم من المنافقين، أم من المشركين، فالمسألة واحدة، فإن الله سبحانه وتعالى قد بيّن في الآية السابقة أنه هو وحده مالك الأمكنة والأزمنة، وأن له المشرق والمغرب، وليس لأحد أن يملك هذه الأماكن، وهو المتصرف بأمور عباده، ويوجههم حيث يشاء من أركان أرضه، فإذا أراد لهم أن يتوجهوا إلى الكعبة فهو ربهم، وإذا أراد لهم أن يتوجهوا نحو بيت المقدس فالأمر أمره كذلك، وهو الهادي لعباده إلى حيث يشاء من الوجهة التي يتوجهون إليها في صلاتهم(1).

وفي هذه الآية الكريمة تشابه مع الآية السابقة، وذلك أن جملة: يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، هي ذاتها في الآيتين، غير أن الاختلاف بينهما ظاهر في ناحية الرابط بين المشيئة والهداية والأمر المتعلق بهذه المشيئة.

ومن هنا فإن هدايته سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين المسلمين إلى تغيير القبلة هداية إلى الاستقامة في العمل، وذلك أن التعقيب في الآية الكريمة تمثل بهذه الجملة: يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فأفاد هذا التعقيب الدلالة على أن التوجه إلى الكعبة المشرفة في الصلاة استقامة في حياة المسلم(2).

ونجد القرآن الكريم يؤكد لنا في آياته الكريمة أن أمر الهداية أمر خاضع لمشيئته سبحانه وتعالى، فحتى الأنبياء لا يملكون من أمر الهداية شيئاً، بل إن أمرها

([1]) القشيري. لطائف الإشارات، ج: 1، ص: 132.

([2]) انظر: النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 136.

كله بيد الله سبحانه وتعالى، يقول سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (سورة البقرة، آية: 272).

إن سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ رغم علو مرتبته، وارتفاع منزلته، وأنه صاحب المقام المحمود عند الله سبحانه وتعالى، ورغم كل هذا إلا أنه صلوات الله وسلامه عليه لا يملك من أمر الهداية شيئاً، وإن هذه الهداية مختصة به سبحانه وتعالى، فمهما أراد النبي الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يهدي الناس، فلن يهتدي إلا من كتب له سبحانه وتعالى الهداية، فأمر الهداية مرتبط به سبحانه، ولا يرتبط بأحد غيره(1).

والمقصود بقوله سبحانه: ليس عليك هداهم، أي ليس من أمرك أن تجبرهم على اتباع الطريق السوي المستقيم، وإنما عليك يا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن تبين لهم، وتنصحهم، وتدلهم على طريق الصواب، ثم إن أمر اهتدائهم إلى فعل ذلك كله بيد الله سبحانه وتعالى وليس بيدك، فما عليك يا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلا البلاغ فحسب، والهداية بيد الله(2).

إن هذه الآية الكريمة مرتبطة بما قبلها من موضوع الصدقات، فقد بيّنت أن ليس على النبي الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ هداية أهل الكفر والضلالات، وإنما عليه البلاغ، وفي ذلك إباحة لمن قال بهذا القول لإعطاء أهل الكتاب، أو المشركين من الصدقات، وذلك طمعاً في إيمانهم، والهداية قبل كل شيء بيد الله سبحانه وتعالى، فإن موضع الهداية هاهنا قد ارتبط بقضية مالية تتمثل بتوزيع الصدقات، ثم إن هذا التوزيع إذا أُعطي منه أهل الشرك ربما كان سبباً في إيمانهم، فالهداية بأمر الله تعالى وليست بأمر نبيه(3).

([1])القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (د.ت). لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ــ مصر، الطبعة الثالثة، ج: 1، ص: 209.

([2]) الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 317.

([3]) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 3، ص: 337 ــ 338.

ولسائل أن يسأل: كيف ينفي سبحانه وتعالى عن نبيه الهداية، فقال: ليس عليك هداهم؟ وهل يتوافق هذا النفي مع الرسالة التي بُعث بها؟

إن الهداية المقصودة في الآية الكريمة بقوله: ليس عليك هداهم، إنما هي هداية دلالة وإرشاد وتبليغ، فإن هذه الهداية مطلوبة من الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهي متوافقة مع طبيعة رسالته الربانية التي أرسله الله سبحانه وتعالى بها، أما الهداية التوفيقية فهي ليست بيد النبي الكريم، وإنما هي بمشيئة الله سبحانه وتعالى، فنفي الهداية عن الرسول بقوله: ليس عليك هداهم، إنما هي الهداية التوفيقية دون هداية الدلالة والإرشاد.

وبهذا الكلام ظهر لنا الترابط بين الهداية في نص الآية الكريمة، وبين المشيئة الإلهية، فإن المشيئة الإلهية تختص بهداية التوفيق، في حين أن هداية الدلالة والإرشاد لا تتصل بالمشيئة اتصالاً مباشراً، فإن مشيئة الله تقتضي أن يرسل رسلاً، وينزل كتباً، ثم تصبح هذه الهداية متاحة لجميع الناس، فكلهم يمكنه أن يطلع على الحق والرشد والقرآن الكريم، فتتحقق له بذلك هداية الدلالة، ولكن ليس الكل يمكنه الدخول في الإيمان، وإنما ذلك توفيق من الله تعالى.

ونجد القرآن الكريم يتحدث عن بعض مواضع الهداية ولكن دون أن يسميها بلفظها، وإنما ينعتها بالإيمان مثلاً، وذلك نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (سورة الأنعام، آية: 111).

إذ نصت الآية الكريمة على أن الله سبحانه وتعالى لا يعطي الإيمان إلا لمن يشاء، فقال: ما كانوا ليؤمنوا، فوصف الهداية بالإيمان، وهذا وصف واقع، إذ إن الهداية إيمان، والإيمان هداية، وربط سبحانه وتعالى هذا الإيمان بالمشيئة، فلا يؤمن أحد إلا بمشيئته سبحانه وتعالى(1).

بيّن سبحانه وتعالى أنه مهما رأى الكفار من الآيات الدالة على وجوده سبحانه وتعالى، والدالة على الإيمان، ما نفعتهم تلك الآيات، وما أجبرتهم على

([1]) الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 4، ص: 181.

الدخول في الإيمان، إلا أن يشاء الله سبحانه وتعالى لهم ذلك، وإلا أن يقدر سبحانه لهم الهداية وفق هذه الآيات التي يرونها، فلا قيمة لتلك الآيات إذا لم يقدر سبحانه وتعالى لهؤلاء الإيمان، وإذا لم يشأ سبحانه وتعالى لهم الهداية(1).

وتقرر هذه الآية الكريمة حقيقة إلهية متمثلة في أن جميع ما يفعله الناس من أجل استقرار الإيمان في نفوسهم لا ينفعهم إذا لم يكن الله سبحانه وتعالى قد كتب لهم الإيمان، فقد بيّنت الآية أنه لو تحققت تلك المعجزات التي طلبها المشركون كي يؤمنوا برسالة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ سواء بإنزال الملائكة، وتكليم الموتى، أي إحيائهم، أو أي معجزة أخرى هم يطلبونها، فلو تحقق ذلك كله فإنهم لن يؤمنوا ما دام الله سبحانه وتعالى لم يكتب لهم الإيمان، ولم يشأ لهم الهداية، فإن أمر الهداية متعلق بأمر المشيئة الإلهية، فلا تكون هداية إلا بمشيئته سبحانه وتعالى(2).

ومن خلال الآية السابقة تبين لنا أن أمر الهداية ليس متعلقاً بإظهار المعجزات، أو بوقوع الأمور الخارقة التي تدفع الناس إلى الإيمان والاهتداء، وإنما يتعلق أمر الهداية بشيء واحد يتمثل بمشيئته سبحانه وتعالى، فإن من يشأ له سبحانه الهداية يهتدي، ومن يشأ له الضلال يضل، حتى لو ظهرت المعجزات المقترحة من قبل أهل الكفر والضلالات، فإن ظهورها لن يدفعهم إلى الإيمان، ورؤيتها لن تدفعهم إلى الهداية، بل إن أمر الهداية يختص بناحية واحدة فقط، هي مشيئته سبحانه وتعالى، فهي القيد الوحيد للهداية، فإذا اقتضت مشيئته سبحانه أن يهتدي فلان فإنه يهتدي، وإذا اقتضت بغير ذلك فلا يمكن أن يهتدي لو جُمِعت له معجزات الأرض كلها.

وكما أن المشيئة الإلهية اقتضت أن يكون فلان مهتدياً، فالمشيئة الإلهية أيضاً اقتضت أن يكون فلان ضالاً، فكما أن الهداية بمشيئة الله تعالى، فإن الضلال أيضاً بمشيئته سبحانه وتعالى، وهذا ما أوضحته لنا الآيات القرآنية الكريمة، يقول سبحانه

([1])الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (د.ت). النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان،، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 157.

([2]) البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 2، ص: 178.

وتعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (سورة فاطر، آية: 8).

إن هذه الآية الكريمة تبين صنفاً من الناس يعملون الأعمال السيئة، غير أن الشيطان بوسوسته وإغوائه له يجعل هذا العمل السيء حسناً في نظره، ويزينه له، حتى إنه ليظن أنه قد أحسن عملاً، وفي الواقع إنه قد أساء عملاً، وهذا نتيجة لانتكاس فطرته، فأصبح يرى الباطل حقاً، والحق باطلاً، والأمر قبلاً وبعداً بيد الله تعالى، فإنه سبحانه يضل من يشاء عن طريق الحق والهداية، ويهدي من يشاء إلى الطريق المستقيم، والصراط القويم(1).

وفي هذه الآية الكريمة خطاب للنبي الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإنه سبحانه بيّن له أنه وحده يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، أي: لا تتحسر على ضلالهم يا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأنهم مغترون بأعمالهم، فإنهم يرون الباطل حقاً، والحق باطلاً، وزيادة على ذلك فإن الله سبحانه وتعالى لم يكتب لهم الهداية، ولم يقدر لهم الرشد، فمشيئته اقتضت أن يكونوا مع الضالين، فلا تتحسر عليهم(2).

اشتملت هذه الآية الكريمة على مقارنة بين فريقين من الناس، فريق انتكست نفسه، وانقلبت موازينه، حتى أعماه الله وأضله، فأصبح يرى الحق باطلاً، والباطل حقاً، فهذا لن يستطيع أحد إقناعه بأن أعماله سيئة، فهو باقٍ على ضلاله، وفريق: استقامت سريرته، وأبصر بنور الله سبحانه وتعالى، فاستحق الهداية، وأبعده الله عن الضلال، والفريقان خاضعان لمشيئة الله سبحانه وتعالى، فإنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، والأمر كله إليه(3).

([1]) البغوي. معالم التنزيل، ج: 3، ص: 689.

([2]) النسفي. مدارك التنزيل، ج: 3، ص: 78.

([3])الأنجري، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي (1419هــ). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي، القاهرة ــ مصر، ج: 4، ص: 520.

تؤكد الآية القرآنية الكريمة على فكرة أنه ليست الهداية وحدها بيد الله تعالى، وإنما الهداية والضلال، فإن من يهدي الله إنما يهديه بمشيئته سبحانه وتعالى، ومن يضلل الله فإنه يضل بمشيئته سبحانه وتعالى أيضاً، وجميع الناس خاضعون لهذه المشيئة الربانية، والأمر أمره سبحانه وتعالى.

وهناك مجموعة كبيرة من الآيات القرآنية التي تتناول موضوع المشيئة الإلهية والهداية والضلال، غير أن الباحث لو أراد أن يستقصي تلك المواضع كلها لطال الكلام، خاصة أن كثيراً من تلك المواضع قريبة جداً في معانيها من المواضع التي نوقشت سابقاً، لذا يكتفي الباحث بالإشارة إليها على النحو الآتي:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الأنعام، آية: 39).

فالمشيئة هاهنا مختصة بالهداية والضلال من الله تعالى، فمن أراد سبحانه أن يهديه فإنه يمته على الإسلام والإيمان، ومن لم يرد له الهداية، فإنه يموت على العصيان والشرك بالله، فالمشيئة هاهنا متعلقة بالهداية(1).

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأنعام، آية: 88).

تتحدث هذه الآية عن المشيئة الإلهية في جانب الهداية، فإنه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء إلى الطريق السوي المستقيم(2).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (سورة الأنعام، آية: 107).

وهاهنا جاءت المشيئة بمعنى أن الله سبحانه وتعالى لا يريد إيمان الكافرين، وإنما مشيئته واجبة الحصول(3).

([1]) الجوزي. زاد المسير، ج: 2، ص: 27.

([2]) السمعاني. تفسير السمعاني، ج: 2، ص: 124.

([3]) البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 2، ص: 177.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة الأنعام، آية: 149).

فالآية تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ هداية الكافر، لأنه لو شاء لهداه(1).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة يونس، آية: 25).

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس، آية: 99).

والخطاب هاهنا للنبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمقصود أنه لو شاء الله لآمن به كل من في الأرض، ولكن الله لم يشأ أن يصدق به إلا من سبقت له الهداية والسعادة، فالمشيئة هاهنا متعلقة بالهداية(2).

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة النحل، آية: 9).

والمقصود هاهنا أن على الله سبحانه وتعالى تبيين سبيل الحق، ثم إنه لو شاء لجعل الناس كلهم متبعين لسبيل الهداية هذا(3).

وفي قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة النور، آية: 46).

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة القصص، آية: 56).

وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عن مشيئته سبحانه وتعالى في الهداية والضلال.

([1]) البغوي. معالم التنزيل، ج: 2، ص: 169.

([2]) الخازن. لباب التأويل، ج: 2، ص: 466.

([3]) النسفي. مدارك التنزيل، ج: 2، ص: 205.

وبعد هذا العرض والتحليل لآيات المشيئة الإلهية والهداية فإن الباحث يخرج بالنتائج الآتية:

1 . تناولت الآيات القرآنية الكريمة نوعي الهداية: هداية الدلالة والإرشاد، والهداية التوفيقية، فالنوع الأول هو مهمة الأنبياء والصالحين، أما النوع الثاني فهو مقصور على الله سبحانه وتعالى.

2 . بيّنت الآيات القرآنية الكريمة أن الهداية لا تتحصل بمجرد رغبة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في هداية أحد من الناس، بل لا بد من أن توافق تلك الرغبة المشيئة الإلهية الأزلية التي تقرر هداية ذلك الشخص أم لا.

3 . كما تتصل المشيئة الإلهية بالهداية، فإنها تتصل أيضاً بالضلال، فكما أن هداية الناس بمشيئة الله سبحانه وتعالى، فكذلك ضلالهم بمشيئته سبحانه وتعالى.

4 . ترد المشيئة الإلهية مرتبطة بالهداية في القرآن الكريم متعلقة بالإيمان مثلاً، أو متعلقة ببعض مستلزمات الإيمان، فليس المقصود بالهداية دائماً نقيض الضلال، وإنما قد يُقصد منها الوصول إلى المبتغى، كما رأينا في آية البقرة، فإن الله هداهم للوصول إلى تلك البقرة التي يصفها لهم النبي موسى ــ عليه السلام ــ وليس القصد من الهداية الإيمان.

2.2 المشيئة الإلهية والعذاب والمغفرة:

يمثل أمر العذاب والمغفرة، أو الثواب والعقاب من أكثر المعاني ذكراً في كتاب الله سبحانه وتعالى، وذلك أن أمر العذاب مرتبط بالمعصية، وأمر الثواب مرتبط بالطاعة، والدين كله قائم على الطاعة والمعصية، فمن أطاع له الثواب والمغفرة، ومن عصى فله العذاب والعقاب الشديد، ولقد ربطت بعض الآيات القرآنية أمر هذا العذاب والمغفرة بالمشيئة الإلهية، وهو ما سيتناوله الباحث ضمن هذا المبحث بإذن الله تعالى، وذلك وفق المطالب الآتية:

1 . مفهوم العذاب والثواب.

2 . آيات المشيئة الإلهية التي تتعلق بالعذاب والمغفرة.

1.2.2 مفهوم العذاب والثواب:

يبين لنا ابن منظور أن لفظ "العذاب" مأخوذ من الجذر "عَذَب"، وهو مأخوذ من الفعل "عذّب"، والمقصود بالعذاب في اللغة العقوبة والتنكيل، كما يقال عذّبته تعذيباً وعذاباً، وقد جُمع على أعذبة(1).

أما الثواب فمأخوذ من الجذر "ثَوَبَ"، وهو مشتق من الفعل "أثاب"، ويطلق الثواب في اللغة على الجزاء، وليس المقصود بالجزاء جزاء أي شيء، وإنما هو جزاء الطاعة، والثواب والمثوبة بمعنى واحد(2).

أما مفهوم العذاب في الاصطلاح فإن المناوي يبين لنا تفصيل ذلك بقوله: "العذاب: كل مؤلم للنفس إذا كان جزاء على سوء، واشتقاقه من عذب الشيء إذا استمر وجرى، فالألم يستمر في النفس، ويتغلغل فيها. وقيل العذاب إيلام لا إخبار فيه، وقيل أصله عند العرب الضرب ثم استعمل في عقوبة مؤلمة، واستعير للأمور الشاقة فقيل "السفر قطعة من العذاب"(3).

إن المناوي في تعريفه السابق للعذاب جعل له حدوداً: أما الحد الأول: فهو جزاء على اقتراف ذنب أو خطأ، الحد الثاني: أنه يأتي مؤلماً للنفس، والحد الثالث: أنه كان يُطلق في الأصل على الضرب ثم عُمِّم على سائر الأحوال التي تؤدي إلى إيلام النفس. فهذه هي الحدود العامة لمفهوم العذاب عند المناوي في تعريفه السابق.

والعذاب نقمة الله سبحانه وتعالى على أحد عباده، فهو إذن يرتبط بحكم رباني في بعض الأحوال(4).

ومن هنا يظهر لنا أن العذاب ينقسم إلى قسمين: الأول: عذاب مادي، ويكون بالضرب مثلاً، أو إيقاع عقوبة مادية على البدن تؤدي إلى إيلام النفس، أما القسم الثاني: فهو العذاب المعنوي، وهو ما يقع فيه إيلام النفس من غير ضرب أو لطم

([1]) ابن منظور. لسان العرب، ج: 1، ص: 585.

([2]) ابن منظور. لسان العرب، ج: 1، ص: 244.

([3]) المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 239.

([4]) التهانوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ج: 2، ص: 1750.

للبدن، وإنما يكون العذاب فيه معنوياً، كما قالت العرب السفر قطعة من العذاب، والسفر تدخل فيه الجوانب المعنوية.

ونجد المفسرين لا يختلفون كثيراً عن أصحاب كتب الاصطلاح في حديثهم عن مفهوم العذاب، فإن البغوي يشير إلى أن العذاب ما يقع على الإنسان من بلاء سواء في ناحية جسدية أم نفسية، بالقحط، والقتل، والتشريد وغير ذلك، فكل ما يحصل به التنكيل يعد عذاباً، وهو في الحياة الدنيا سُمِّي بالعذاب الأدنى(1).

والعذاب ما هو إلا عقوبة تقع من الله سبحانه وتعالى على من يُذنب من عباده، فالعذاب عقاب من الله تعالى بصورته الأوسع والأكمل للمخطئين من عباده(2).

ونجد الخلوتي يُفصل الحديث في مفهوم العذاب فيقول: " والعذاب هو الإيذاء الشديد وقد عذبه تعذيبا أي أكثر حبسه في العذاب وأصله من قولهم: عذب الرجل إذا ترك المأكل والنوم فهو عاذب وعذوب، فالتعذيب في الأصل هو حمل الإنسان على أن يعذب أي يجوع ويسهر وقيل: أصله من العذب فعذبته أزلت عذب حياته على بناء مرّضته وفدّيته، وقيل: أصل التعذيب إكثار الضرب بعذبته السوط، أي طرفه"(3).

أما مفهوم الثواب في الاصطلاح فإنه يأتي بمفهوم عام يتمثل في إعطاء المثاب ما يُلائم الطبع، أي أن الجزاء يكون من جنس العمل، أما من الناحية الخاصة فإن الثواب ما يستحق به الإنسان مغفرة الله سبحانه وتعالى، والحصول على رحمته، والوصول إلى شفاعة نبيه الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ فالثواب هاهنا جزاء للصالحين عند الله سبحانه وتعالى(4).

([1]) البغوي. معالم التنزيل، ج: 6، ص: 308.

([2]) انظر: ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (1416هــ). التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 388.

([3]) الخلوتي. روح البيان، ج: 5، ص: 392.

([4]) الجرجاني. التعريفات، ص: 72.

والثواب هو جزاء خيّر على العمل، ويستعمل الثواب في الخير والشر، غير أن استعماله في الخير أكثر، وسُمي ثواباً لأنه يثوب إلى الإنسان جزاء أعماله، فكأن عمله عاد إليه، فإن جزاء العمل شبيه بالعمل ذاته(1).

ولا يختلف معنى الثواب عند المفسرين كثيراً عن أصحاب كتب المصطلحات، إذ يشير معنى الثواب إلى ذلك الأجر والجزاء الذي أعده الله سبحانه وتعالى لمن يعمل العمل الصالح، فإن الثواب مرتبط بالعمل الصالح، ولو لم يكن مرتبطاً به لكان الثواب مجرد هبة، مع الأخذ في عين الاعتبار أن الثواب تفضّل من الله سبحانه وتعالى على كل حال من أحواله(2).

ويبين أبو حيان الأندلسي مفهوم الثواب بأنه النفع الدائم من الله سبحانه وتعالى الخالص عن كل ما يشوبه، وهو النفع الدائم الذي لا ضرر فيه(3).

يمكننا القول بناء على ما سبق بأن الثواب ضد العذاب، غير أنه قد سُمع عن العرب أنهم قالوا في العذاب ثواباً، وذلك على سبيل الاستعارة فيه، وإنما قيل فيه ذاك لأن الثواب يمثل مثوبة العمل الذي يقوم به الإنسان، فإن كان خيراً ثاب إليه خيراً، وإن كان شراً ثاب إليه شراً، غير أن الأكثر استعمالاً مجيء الثواب للجزاء الحسن وليس للجزاء السيء.

إن العذاب والثواب عاقبتان يؤول إليهما الإنسان جزاء عمله، فإن عمل صالحاً آل إلى ثواب حسن صالح كعمله، وإن عمل سيئاً، آل إلى عذاب وعقاب من الله سبحانه وتعالى جزاء عمله السيء، فهاتان العاقبتان يصل يؤول إليهما كل البشر، فإما يؤول الإنسان إلى ثواب، أو أن يؤول إلى عذاب.

2.2.2 آيات المشيئة الإلهية التي تتعلق بالعذاب والمغفرة:

يرد في كتاب الله سبحانه وتعالى مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة التي تربط بين العذاب والثواب من جهة، والمشيئة الإلهية من جهة أخرى، وذلك كما يظهر لنا

([1]) المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 118.

([2]) الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 11، ص: 195، وانظر: ج: 14، ص: 189.

([3]) أبو حيان. البحر المحيط، ج: 3، ص: 480.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة البقرة، آية: 284).

بيّنت الآية الكريمة دور المشيئة الإلهية في إيقاع المغفرة أو العذاب على أحد من البشر، فإن الله سبحانه وتعالى وفقاً لمشيئته الكريمة يغفر لمن يريد من عباده أياً كان ذنبه، ويعذب من يريد من عباده أياً كان ذنبه أيضاً، فإن هذا الأمر عائد إليه سبحانه وتعالى بمقتضى مشيئته، وليس لأحد من خلقه أن يتصرف بهذه المشيئة الإلهية(1).

وارتبطت هذه الآية الكريمة بما كان قد بيّنه سبحانه وتعالى بأنه يحاسب الناس على ما في أنفسهم سواء أبدوه أو أخفوه، أي أن الأمر عنده سواء؛ لأن الإبداء والإخفاء لا يغيران شيئاً في أمره سبحانه وتعالى، فهو عالم بالظاهر والباطن، وهذا الحكم نُسِخ لما قد ورد أنه ثقل على المسلمين ذاك، فبين سبحانه في الآية التي تليها أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، فنسخت هذا الجزء من الآية، ثم بيّن سبحانه وتعالى أنه قادر على أن يغفر لصاحب الذنب الكبير رغم كبر ذنبه، ويعذب صاحب الذنب الصغير رغم صغر ذنبه، فهو وحده المتصرف بأمر العذاب والمغفرة، وليس هناك من خلقه من يتصرف بهذا الأمر سواه(2).

ولما كانت هذه الآية الكريمة تبيّن أن الإنسان محاسب على خواطره الحسنة والسيئة، فإن الله سبحانه وتعالى يغفر لمن رفض تلك الخواطر التي تنبعث في نفسه، وأبعدها، ولم يكن مصراً عليها، كما أنه سبحانه وتعالى يعذّب من كان مصراً على تلك الخواطر وما يقع في النفس من الأمر بالسوء، ولا يكبح جماح نفسه في هذا الجانب، فإن الله سبحانه وتعالى يعذب هؤلاء الناس، فهذا هو معنى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء(3).

([1]) البغوي. معالم التنزيل، ج: 1، ص: 397.

([2]) انظر: ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 390.

([3]) الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 7، ص: 104.

بيّنت الآية الكريمة مشيئة الله سبحانه وتعالى في المغفرة لعباده، ومشيئته في عذابهم، فإن الإنسان لا يستطيع الحكم على إنسان آخر بأنه معذب، أو مغفور له؛ لأن أمر العذاب والمغفرة بيد الله تعالى، فربما يكون الإنسان عاصياً، واقعاً في الكبائر، ولكن الله سبحانه وتعالى يغفر له، وربما كان الإنسان محسناً، غير أنه تقع منه بعض الذنوب الصغيرة، فيعذبه الله سبحانه وتعالى بها، فإن الأمر قبل كل شيء عائد إلى الله سبحانه وتعالى، فإنه يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء بإرادته سبحانه وتعالى لا بإرادة أحد من خلقه.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران، آية: 129).

تتناول هذه الآية الكريمة الحديث عن ملكه سبحانه وتعالى في خلقه، فإنه سبحانه وتعالى يملك كل شيء في الأرض والسماء، فهو مالك السماوات والأرض، وبيده تصاريف الأمور، فإنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، فإن كل هذه الأمور متعلقة بمشيئته سبحانه وتعالى، فهو مالك الأشياء، وهو المتصرف فيها(1).

فأمر المشيئة هاهنا ليس أمراً مجهولاً غير واضح المعالم، بل هو أمر مرتبط بإرادته سبحانه وتعالى، فإن من يشاء له سبحانه وتعالى المغفرة يهديه إلى التوبة، لأنه سبحانه وتعالى لا يغفر إلا للتائبين، ومن أراد أن يعذبه فإنه لا يهديه للتوبة، ويبقى مصراً على حاله وعصيانه، فيعذبه الله سبحانه وتعالى بهذا العصيان والإصرار، إذن فليس الأمر هكذا دون تحديد أو تبيين، فإنه سبحانه وتعالى يغفر للتائبين، ويعذب المصرين على أخطائهم وذنوبهم(2).

إن من له ملك السماوات والأرض لا بد أن يكون قادراً على التصرف بأحوال هذه السماوات والأرض، فيكون متصرفاً فيها لا ينازعه في أمرها أحد، وهذا هو الله سبحانه وتعالى، فإنه متصرف بأمر المخلوقين كلهم، ولا ينازعه في

([1]) القشيري. لطائف الإشارات، ج: 1، ص: 276.

([2]) الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 414.

ذلك أحد، وهو بمشيئته يغفر لمن يشاء بعدله وفضله، ويعذب من يشاء بعدله أيضاً وفضله أيضاً، فإنه سبحانه وتعالى هو القادر على ستر ذنوب عباده، وغمرهم برحمته وغفرانه(1).

بيّنت الآية الكريمة أن أمر المشيئة الإلهية في الغفران والعذاب لمن يريد سبحانه وتعالى تابع لملكه سبحانه للسماوات والأرض، فإن من مقتضيات هذا الملك الكريم عنده سبحانه وتعالى أن يكون متصرفاً بأمر المخلوقين في هذه السماء والأرض، فإنه بمشيئته يقدر لهم الأمور، وبمشيئته يتصرف في أحوالهم، فالمشيئة الإلهية هي التي تقضي بأن يغفر الله سبحانه وتعالى لعبد من عباده، والمشيئة الإلهية هي التي تقضي أيضاً بأن يعذب الله سبحانه وتعالى أحداً من عباده.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة المائدة، آية: 40).

إن هذا الموضع القرآني لا يختلف كثيراً عن الموضع السابق، فإن الله سبحانه وتعالى قد سبق كلامه عن مشيئته في الرحمة والعذاب بكلام عن ملكه سبحانه وتعالى للسماوات والأرض، فإن هذا الملك العظيم له سبحانه، وهذه القدرة المطلقة له عز وجل، لا تجعل أحداً قادراً على أن يتصرف في ملكه شيئاً إلا بإذنه هو، فإنه سبحانه بمشيئته وحده يغفر لمن يشاء بما يبعث لهم من الرسالات والهداية، فهو يهدي من يشاء فيغفر له، ويعذب من يشاء بإضلاله، فإن الضلال يؤدي إلى العذاب، وهذا كله مقتضٍ لملكه سبحانه وتعالى، وليس لأحد من الخلق أن يتصرف شيئاً في هذا الملك العظيم له سبحانه(2).

إن هاتين الآيتين تردان ضمن سياق واحد، وهو تأكيد منه سبحانه وتعالى على أن مالك السماوات والأرض هو القادر بمشيئته على أن يغفر لمن يشاء، وأن يعذب من يشاء، فصاحب هذا الملك العظيم لا بد أن يكون وحده المتصرف في مثل هذه الأمور، ولا بد أن تكون مشيئته وحدها المتصرفة بهذه الأحوال كلها.

([1]) انظر: الخازن. لباب التأويل، ج: 1، ص: 296.

([2]) الراغب الأصفهاني. تفسير الراغب الأصفهاني، ج: 4، ص: 349.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء، آية: 48).

بيّنت الآية الكريمة أن أمر الشرك أمر عظيم، وأنه سبحانه وتعالى قد يغفر سائر الذنوب التي يقع فيها الإنسان، غير أن الشرك لا يغفره إلا بمشيئته وإرادته، فإن هذه الآية الكريمة تجعل المؤمنين على رجاء من ناحية، وخوف من ناحية أخرى، فإنه سبحانه وتعالى يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، لذا فإن المؤمن يبقى متأملاً لمغفرة الله تعالى، راجلاً لرحمته، خائفاً من عذابه، أما أهل الشرك، فلا يُقطع بكفرهم وعذابهم، لأن الله سبحانه وتعالى يغفر لمن يشاء، فربما غفر لهم وهداهم إلى الطاعة، فأدخلهم الجنة، وأبعدهم عن النار(1).

إن الشرك وإن عظُم أمره فإن الله سبحانه وتعالى يغفره لمن يشاء، والمشيئة هاهنا تتمثل بأن يهديه الله سبحانه وتعالى للتوبة، فإذا تاب غفر له ما أشرك به، ولو أنه مات على الشرك لم يغفر له الله سبحانه وتعالى فهذا فيما يتعلق بأمر الشرك، أما المؤمن فإنه مهما عظمت ذنوبه، وكبرت، فإن الله سبحانه وتعالى يغفرها له، والمشيئة هاهنا ترتبط بأمر المغفرة والعذاب، فإنه سبحانه وتعالى يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، فالأمر قبل كل شيء عائد إليه سبحانه وتعالى(2).

وجاءت هذه الآية الكريمة لتبين للناس عظم الشرك عند الله سبحانه وتعالى، فإن أي ذنب غير الشرك قد يغفره الله سبحانه وتعالى بمشيئته ورحمته، ولكن أمر الشرك يختلف، فإن المشرك لا يمكن أن يغفر الله سبحانه وتعالى له إلا أن يتوب، أما سائر الذنوب الأخرى فإنه لو مات ولم يتب فإن أمر المغفرة عائد إلى الله سبحانه وتعالى، فإن شاء غفر له، وإن شاء عذّبه، فإن الأمر أولاً وأخيراً لله سبحانه وتعالى، ولذا فإن الله سبحانه وتعالى بيّن في خاتمة الآية الكريمة أن الشرك ظلم عظيم، فقال:

---

(1) الجوزي. زاد المسير، ج: 1، ص: 418.

(2) النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 364.

افترى اثماً عظيماً، أي جاء ببهتان كبير، ورغم ذلك فإن المشيئة ظاهرة في هذه الآية الكريمة، وهي متعلقة بالمغفرة والعذاب(1).

إن الآية الكريمة السابقة لا تختلف كثيراً عن الآيات التي قبلها من حيث إنها تربط بين المشيئة والعذاب والمغفرة، غير أنها تختلف في ناحية أنها تركز الحديث فيها عن الشرك بالله تعالى ومقارنته بالذنوب الأخرى، فإن أي ذنب سوى الشرك بالله يمكن أن يغفره الله سبحانه وتعالى، أما الشرك فإن الله لا يغفره إلا بالتوبة الصادقة، فالتوبة هي السبيل الوحيد لمغفرة الشرك بالله، أما سائر الذنوب الأخرى، فإن الله سبحانه وتعالى بمشيئته يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء، آية: 116).

لا تختلف هذه الآية الكريمة كثيراً عن الآية السابقة، فإنه سبحانه وتعالى قد بيّن أن الشرك به أعظم الذنوب، ولا يغفره إلا بتوبة، وجاء الخبر هاهنا مؤكداً بـــ "إنّ" وفيه دلالة على تأكيد الخبر منه سبحانه وتعالى، فهو يغفر لمن يشاء سائر الذنوب والمعاصي، أما الشرك فإنه لا يغفره سبحانه إلا بالتوبة الصادقة(2).

وتختلف هذه الآية الكريمة عن سابقتها أن الآية السابقة اختتمت بقوله: افترى إثماً عظيماً، وفي هذه الآية اختتمت بقوله: فقد ضل ضلالاً بعيداً، فإن الآية السابقة تتصل بأهل الكتاب، وأنهم أشركوا بالله سبحانه وتعالى شركاً مفترى، فإن الافتراء أعظم أنواع الكذب، فقد كذب أهل الكتاب على الله، لذا وصف سبحانه وتعالى ذلك الشرك بأنه افتراء عظيم، أما في هذا السياق فإن الآية الكريمة تتحدث عن الشرك بصفته ذنب عظيم في حقه سبحانه وتعالى وأنه لا يُغفر إلا بتوبة صادقة، فجاء الوصف في خاتمة الآية الكريمة على أن الشرك ضلال مبين، وبعيد عن سبيل الحق والصواب(3).

([1]) القنوجي. فتح البيان في مقاصد القرآن، ج: 3، ص: 144.

([2]) انظر: القشيري. لطائف الإشارات، ج: 1، ص: 364.

([3]) البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 2، ص: 97.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (سورة المائدة، آية: 18).

تتحدث الآية الكريمة السابقة عن بني إسرائيل وأنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وذلك على سبيل الحنان وقرب المنزلة، فجاءت الحجة القرآنية المقنعة بأنه إن كنتم أبناء الله وأحباؤه، فلماذا إذن يعذبكم الله؟ فالحبيب لا يعذب حبيبه، والأب لا يعذب ابنه، وإنما الواقع أن بني إسرائيل مثلهم في ذلك مثل سائر البشر، يغفر الله سبحانه وتعالى كرماً لهم، ويعذب من يشاء عدلاً، فإن الأمر بيده سبحانه وتعالى، وخاضع لمشيئته(1).

وهذه المواضع القرآنية التي تتحدث عن مشيئته سبحانه وتعالى في العذاب والمغفرة تتشابه إلى حد كبير جداً في كتاب الله سبحانه وتعالى، وذلك كما يلي في قوله سبحانه: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ (سورة العنكبوت، آية: 21).

فإن جميع البشر والمخلوقين أياً كان حالهم، وأياً كان إيمانهم سيعودون إلى الله سبحانه وتعالى، وسيحاسبهم سبحانه بما اقترفوا من أعمال خير أو باطل، فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، فإن مشيئته سبحانه وتعالى هي التي تتصرف بأمر الرحمة والمغفرة، والعذاب والعقوبة(2).

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (سورة الفتح، آية: 14).

إن الله سبحانه وتعالى حين افتتح الآية الكريمة بالحديث عن ملكه للسماوات والأرض أراد أن يبين للناس أنه غني عن الناس أجمعين، فإنه مالك السماوات والأرض، وبذا يكون هو المتصرف في هذا الكون، فيغفر لمن يشاء، ويعذب من

([1]) البغوي. معالم التنزيل، ج: 2، ص: 32 ــ 33.

([2]) الزمخشري. الكشاف، ج: 3، ص: 448 ــ 449.

يشاء، أي أنه يثيب المؤمنين، ويعاقب الكافرين، وليس الله مفتقراً لأي من عباده سبحانه وتعالى، بل إن كل عباده مفتقرون إليه سبحانه(1).

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة الفتح، آية: 25).

ارتبطت هذه الآية الكريمة بما كان من أمر منع المؤمنين من قتل أهل مكة وذلك لأن فيهم أناساً مؤمنين، ولو أن هؤلاء المؤمنين تبيّنوا للعيان لقُتل المشركون وعُذِّبوا بأيدي المؤمنين، غير أنهم ليسوا ظاهرين، فعلل سبحانه وتعالى هذا كله بأنه يدخل من يشاء في رحمته، أي في توفيقه وطاعته، فكان هذا تعليل كف أيدي المؤمنين عن كفار مكة، فالمشيئة الإلهية دخلت هاهنا في جانب الرحمة والخروج من العذاب، ولو كان الأمر على ما وصف سبحانه من تميّز أهل الشرك عن أهل الإيمان لعذّب الله سبحانه وتعالى أهل الشرك بأيدي المؤمنين، ولكن اقتضت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يرحمهم بهذه الرحمة، وإبعاد هذا العذاب عنهم(2).

وفي نهاية هذا المبحث يشير الباحث إلى ما يلي:

أولاً: ربطت الآيات الكريمة السابقة بين ثلاثة أشياء وهي:

أ . ملكه سبحانه وتعالى للسماوات والأرض.

ب . مشيئته سبحانه وتعالى.

ج . العذاب والمغفرة التي يحققها سبحانه وتعالى لعباده.

فإنه سبحانه وتعالى لما كان مالكاً للسماوات والأرض، صار مقتضى ذلك أن تكون مشيئته هي المتصرفة بهذا الكون كله، وصار بمقتضى ذلك أمر العذاب والمغفرة بيده سبحانه وتعالى وحده.

ثانياً: بيّنت الآيات القرآنية الكريمة أن غفران الذنوب، أو العذاب لأهل المعاصي مرتبطان بالمشيئة الإلهية، فإن شاء الله سبحانه وتعالى غفر، وإن شاء عذّب، فهو وحده المتصرف بهذه الأمور، إلا الشرك به سبحانه وتعالى، فإنه لا يغفره، ولا بد

([1]) انظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 16، ص: 270.

([2]) انظر: النسفي. مدارك التنزيل، ج: 3، ص: 341 ــ 342.

لمن يقع في هذا الشرك أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً حتى يغفر له سبحانه وتعالى ما تقدم من أمر شركه وضلاله.

ثالثاً: إن معنى قوله سبحانه وتعالى: يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، حيث ورودها في القرآن الكريم أي أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد هداية لأحد من خلقه هداه فغفر له بهذه الهداية، وإذا لم يرد له الهداية أبقاه على ضلاله، فلم يكن ذلك سبيلاً لغفران ذنبه، بل يعذّبه سبحانه وتعالى بتلك الذنوب التي اقترفها، فإن الله سبحانه وتعالى لا يغفر إلا للتائبين.

رابعاً: إن امتلاك الله سبحانه وتعالى للسماوات والأرض يعني أنه سبحانه في غنى عن سائر خلقه، فليس فيه سبحانه افتقار إلى أحد منهم، أما الخلق فهم جميعاً مفتقرون إلى الله سبحانه وتعالى ورحمته، فمن هنا بيّن سبحانه أن عدم افتقاره إلى أحد من الخلق يجعله يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء بمقتضى تلك المشيئة، وبناء على ذلك الملك العظيم، وعدم افتقاره سبحانه وتعالى لأحد من خلقه.

الفصل الثالث

المشيئة الإلهية في أحوال العباد المختلفة

لا شك أن ما تقدم ذكره من ميادين المشيئة الإلهية في الفصل السابق يتعلق بأحوال العباد، غير أن العباد في الفصل السابق قد انقسموا إلى صفين: صف الإيمان، وصف الكفر، وبعبارة أخرى: صف الحق، وصف الباطل، فالله يهدي ويغفر لمن يشاء، ويضل ويعذب من يشاء، ومن هنا كان الحديث في الفصل السابق عن هذه الثنائية بين الحق والباطل، أما في هذا الفصل فإن الحديث سيتعلق بجوانب أحوال العباد المختلفة، سواء منها ما كان متعلقاً برحمته تعالى، أم بفضله، أم بخلقه، أم برزقه، أم بنصره، وكل هذا لا يحمل طابع الثنائية التي رأيناها في الفصل السابق.

1.3 المشيئة والرزق:

تناولت عدد من الآيات القرآنية الكريمة الحديث عن المشيئة الإلهية المرتبطة بالرزق، فإن الله سبحانه وتعالى قد اختص بأمر الرزق، ولم يجعل لأحد من مخلوقاته أثر في هذا الرزق، ومن هنا كان التأكيد الإلهي ضمن الآيات القرآنية الكثيرة على أن الرزق بمشيئة الله سبحانه وتعالى وحده، وليس هناك من البشر من يستطيع أن يتصرف بهذا الرزق، ومن هنا فإن حديث الباحث سينصب على الآيات القرآنية التي ربطت بين المشيئة الإلهية والرزق.

1.1.3 الآيات التي تتحدث عن المشيئة والرزق:

تحدث القرآن الكريم في عدد كبير من الآيات القرآنية عن الرزق عموماً، ومن بين مجموعة الآيات القرآنية التي تحدثت عن الرزق كان بعضها يربط بين هذا الرزق الذي قدره الله سبحانه وتعالى لعباده مؤمنين وغير مؤمنين والمشيئة الإلهية في تقدير هذا الرزق وتوزيعه على الناس عموماً، وفي هذا المبحث سيتناول الباحث بعض النماذج القرآنية من هذه الآيات التي تربط بين الرزق والمشيئة الإلهية، إذ

يقول سبحانه وتعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة البقرة، آية: 212).

تتحدث هذه الآية الكريمة عن تصرفه سبحانه وتعالى في أمور الرزق، فهو يوسع على من يشاء من عباده، ويضيق على من يشاء أيضاً، وذلك دون حسيب على ذلك، فهو وحده سبحانه وتعالى المتصرف بهذه الأمور المتعلقة بالرزق1.

وحين ننظر في الآية الكريمة فإننا نجد أن سياقها يتحدث عن سخرية الذين كفروا من المؤمنين، فسخريتهم منهم نابعة من فقرهم، ولأنهم اتبعوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فكأنهم لم يروا في اتباعه منفعة لهم، وبقي هؤلاء المؤمنين على فقرهم، فحسن أن تُختم الآية الكريمة ببيان أن الرزق كله بيد الله سبحانه وتعالى، يرزق من يشاء بغير حساب، فنعيم المؤمنين في الجنة فوق نعيم الكافرين في الدنيا، إذ نعيم الجنة باقٍ، ونعيم الدنيا فانٍ، ومن هنا يتبين الفرق في الفوقية التي وصفها سبحانه وتعالى للمؤمنين دون الكافرين(2).

بيّن سبحانه وتعالى في الآية الكريمة السابقة أنه يرزق من يشاء بغير حساب، وهذه العبارة قد تقودنا إلى القول بأنه سبحانه وتعالى لم يقصر مشيئته في الرزق على المؤمنين دون غيرهم من الكافرين، بل إن رزقه سبحانه وتعالى مقدر للطرفين معاً، وليس لأحد أن يحاسبه سبحانه وتعالى على هذا الرزق للكافرين أم للمؤمنين، فرزقه للمؤمنين ابتلاء منه سبحانه وتعالى واختبار ليرى منهم الطاعة والصدقة والفضل، ورزقه للكافرين استدراج منه سبحانه وتعالى ليأخذهم بطغيانهم، وليمتعهم في الحياة الدنيا، أما في الآخرة فإن المتاع لأهل الإيمان دون أهل الكفر والطغيان والعصيان، فهو سبحانه وتعالى المتصرف بأمور الرزق بين عباده جميعاً، صالحين أم غير صالحين(3).

([1]) الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 255.

([2]) الجوزي. زاد المسير، ج: 1، ص: 176.

([3]) انظر: البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 1، ص: 135.

وربما يكون المقصود بهذا الرزق في الآية الكريمة ما أعده الله سبحانه وتعالى للمؤمنين يوم القيامة، فسياق الآية الكريمة يؤيد هذا المعنى أيضاً، ويكون المقصود بقوله: "بغير حساب" أي بغير نهاية ينتهي إليها هذا الرزق، وهذا آتٍ من طبيعة المعنى الذي سبق هذه الجملة من أن تفضيل المؤمنين قائم على أساس أنهم فوق الذين كفروا في الدرجة والمنزلة، والحجة، والأجر والثواب، والنعيم يوم القيامة، ففي جميع هذه الحالات يفوق المؤمنون الكافرين، ومن هنا كان الرزق مرتبطاً بيوم القيامة دون الحياة الدنيا(1).

ويرى الباحث أن المقصود بهذه العبارة "والله يرزق من يشاء بغير حساب" جميع الرزق في الحياة الدنيا، سواء أكان هذا الرزق للمؤمنين أم للكافرين، ففي جميع هذه الأحوال يتصرف سبحانه وتعالى برزق هؤلاء العباد، وليس لأحد المقدرة على التصرف بهذا الرزق، وذلك لأن سياق الآية الكريمة يدل على ذلك، فإنه سبحانه وتعالى بعد أن بيّن أن الذين آمنوا واتقوا فوق الكافرين سواء في الدنيا أم في الآخرة، عقّب على هذا المعنى ببيان أن هذه الفوقية لا تؤدي إلى حرمان الكافرين من أقواتهم وأرزاقهم في حياتهم الدنيا، فإنه سبحانه وتعالى يرزق من يشاء، وعموم هذه العبارة دليل آخر على المقصود بالرزق جميع الناس وليس المؤمنين وحدهم.

وأشار الباحث في الصفحات الأولى من هذه الدراسة أن الرزق قد يتشكل بأشكال مخصصة في القرآن الكريم، فالملك والعلم، والحكمة، كلها من أشكال الرزق التي خصها سبحانه وتعالى بالذكر في آيات كتابه العزيز، ولما كان الملك واحداً من بين هذه الأشكال التي خصها سبحانه وتعالى بالذكر فإن الباحث يشير إلى واحدة من الآيات الكريمة التي ربطت بين الملك ومشيئته سبحانه، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة، آية: 247).

([1])أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (1420هـ). البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 355.

إن الآية الكريمة السابقة تتحدث عن واحدة من القصص القرآنية التي ذُكرت في سورة البقرة، ألا وهي قصة ملك طالوت، فقد آتاه الله سبحانه وتعالى الملك على بني إسرائيل، غير أنهم اعترضوا على تمليكه عليهم، واحتجوا بأنه ليس من نسل الملوك، والواقع أن طالوت هذا قد آتاه الله سبحانه وتعالى البسطة في العلم والجسم، فكان قوياً عالماً، ومن هنا استحق الملك عليهم، وبيّن سبحانه وتعالى في خاتمة الآية الكريمة أن أمر الملك ليس بالوراثة، وإنما الملك بيد الله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء من عباده، ويمنحه من يختاره منهم، فهو المتصرف بهذا الأمر، واسع الرزق، عالم بأحوال عباده وأيهم يصلح للملك دون غيره منهم، ومن هنا كانت خاتمة الآية الكريمة رابطة بين مشيئته سبحانه وتعالى وواحد من أشكال الرزق التي يهبها لأحد عباده، ألا وهو الملك(1).

فالمشيئة الإلهية في هذه الآية الكريمة قد ارتبطت بالملك الذي يؤتيه الله واحداً من عباده، فما هذا الملك إلا بمشيئته سبحانه، ولا يؤتى أحد ملكاً إلا بأمره، فهو المتصرف بهذا الملك كله(2).

إن الملك بيد الله تعالى، وهو مالك الملك، فقد قال في الآية الكريمة: "يؤتي ملكه" فأضاف الملك إلى نفسه دون غيره، ولما كان أمر الملك مضافاً إلى الله سبحانه وتعالى فهو وحده القادر على التصرف به، وإيتائه في أي ممن يشاء من عباده، وليس لأحد القدرة على التصرف بهذا الأمر، فهو سبحانه وتعالى المتصرف به، وكان هذا الكلام منه سبحانه وتعالى رداً على اعتراض بني إسرائيل في أن طالوت لا يستحق الملك لسببين هما: الأول: أنه لم يؤتَ سعة من المال، والملك لا بد له من مال يتصرف به في ملكه، والثاني: أنه ليس من نسل الملوك، فهو من سبط بنيامين، والملك في سبط يهودا، فأجاب سبحانه وتعالى عن هذين السببين بسببين أهم منهما: الأول: البسطة في العلم، وهذا ما آتاه سبحانه لطالوت، والثاني: البسطة في الجسم،

([1])الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (1994م). الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، قدمه وقرضه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 357.

([2]) الجوزي. زاد المسير، ج: 1، ص: 223.

وهذان السببان مهمان جداً للملك كي يستقيم أمور ملكه، ثم عقّب سبحانه وتعالى بأن قال: والله واسع عليم، أي: واسع في رزقه، يرزق من يشاء، ويستطيع أن يوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء، وعليم حيث يضع ملكه في هذه الدنيا، وإيتائه هذا الملك لمن هو أهل له(1).

وتبيّن هذه العبارة من الآية الكريمة: "والله يؤتي ملكه من يشاء" بلفظ النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو هي من الله للنبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ والظاهر أنها بلفظ نبيهم ــ نبي بني إسرائيل ــ هذا ما يؤيده سياق الكلام، وفحوى هذه العبارة تنبيه لهؤلاء المعترضين على تمليك طالوت بأن الملك لله، وأنه سبحانه وتعالى يجعل هذا الملك حيث يشاء، وليس لأحد أن يسير أمر ملك الله سواه، فهو تنبيه من نبيهم على هذا الأمر(2).

أشارت الآية القرآنية الكريمة إلى واحد من أهم أشكال الرزق في الحياة الدنيا، وهو الملك، وكانت تلك الإشارة واضحة إلى أن هذا الملك عائد إلى أمر الله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه وحده هو المتصرف بأمره، وليس لأحد من عباده أن يعترض على أمره سبحانه في شأن الملك، فالملك ملك الله، والأمر أمر الله، وهو سبحانه يؤتي هذا الملك من يشاء من عباده، وهو العالم بذلك كله، والقادر على أن يوسع الرزق على من يشاء، ويضيق على من يشاء، فانفراد هذه الآية الكريمة يتمثل في أنها ربطت بين الملك كشكل من أشكال الرزق، والمشيئة الإلهية التي ترتبط بالمنفعة العامة للناس، فإن الملك صاحب العلم، وصاحب القوة الجسمية أنفع للناس من الملك صاحب المال، أو صاحب الأفضلية الوراثية في هذا الملك، والله أعلم.

وقد ترتبط المشيئة بالعلم، والعلم شكل من أشكال الرزق كما تبين لنا سابقاً، وهذا العلم لا يكون للإنسان إلا بمشيئته سبحانه وتعالى، ولقد ورد ذلك في كتابه سبحانه،

([1]) النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 204 ــ 205.

([2])القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان (1992م). فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا ــ بيروت، ج: 2، ص: 72.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (سورة البقرة، آية: 255).

إذ إن الآية القرآنية الكريمة تبين أن العلم شيء مختص به سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه يعطي هذا العلم لمن يشاء من عباده، فليس هناك أحد يحيط بشيء من علم الله إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى(1).

وهذه الآية الكريمة تؤكد أن العلم بأمر الله تعالى، وأنه لا يطلع أحد على علمه إلا بمشيئته سبحانه وتعالى، وقيل إن المقصود بالعلم هاهنا علم الغيب، فليس هناك أحد يطلع على علم الغيب إلا بما شاء سبحانه وتعالى أن يطلع عليه أحد من عباده، وذلك عن طريق الرسل، فالمشيئة إذن مرتبطة هاهنا بالعلم، سواء أكان هذا العلم غيبياً أم غير ذلك(2).

والظاهر عند الباحث أن المقصود بالعلم هاهنا علم كل شيء، وليس الاقتصار على علم الغيبيات، فإنه سبحانه وتعالى قد أحاط بكل هذه العلوم، ولا أحد يحيط بشيء منها إلا وفق مشيئته سبحانه وتعالى، ووفق إرادته، فهو سبحانه الذي يعطي الناس العلم من لدنه، وهو سبحانه الذي يمنع عنهم ذلك، فالعلم مختص به سبحانه وتعالى دون سائر خلقه، ويعطي العلم لمن يشاء(3).

بيّنت لنا الآية القرآنية الكريمة ما يلي:

أولاً: يرتبط العلم ارتباطاً وثيقاً بالمشيئة الإلهية، وذلك أن هذا العلم شيء خاص به سبحانه وتعالى، يعطيه لمن يشاء من عباده، ولا يستطيع أحد أن يحيط بشيء من هذا العلم إلا وفق ما يشاؤه الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: قد يُقصد بالعلم العلم الغيبي، وقد يقصد به العلم عموماً، ويرى الباحث أن القول الأولى بالاتباع أن يكون المقصود بالعلم العلم عموماً، وذلك لأن اقتصار

([1]) الراغب الأصفهاني. تفسير الراغب الأصفهاني، ج: 1، ص: 528.

([2]) البغوي. معالم التنزيل، ج: 1، ص: 347.

([3])الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (1418هـ). الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 502.

المعنى على علم الغيبيات يضيق من المقصود بعلمه سبحانه وتعالى، وعلمه دون شك واسع لا يحيط به شيء، ومن هنا فإن الأولى كون المقصود به العلم عموماً وليس فقط علم الغيبيات.

والعلم اسم جامع لكافة الأحوال التي يعقلها الإنسان، وقد يتفرق إلى أشكال أخرى، كالحكمة مثلاً، وقد خصّ سبحانه وتعالى هذا الشكل من أشكال العلم بالذكر وبربطه بالمشيئة الإلهية، وذلك في قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة، آية: 269).

اختلف المتأولون في معنى الحكمة الواردة في الآية القرآنية الكريمة، فقالوا: هي النبوة، وقالوا: هي العلم بالقرآن الكريم، معانيه، وفقهه، وناسخه، ونزوله، وغيرها من العلوم المرتبطة بهذا الكتاب الحكيم، وقالوا: الحكمة هي الفقه في القرآن الكريم، وقيل: الحكمة: الإصابة في القول والفعل، ونجد بعضهم قد وسع دائرة الحكمة، فقالوا: هي العقل في الدين، وقالوا: العلم في الدين والتفقه فيه، واتباع له، والحكمة أيضاً التفكر في أمر الله والاتباع له، كما أنها تعني طاعة أمر الله سبحانه وتعالى، والفقه في الدين، والعمل بهذا الفقه، والحكمة: الخشية، وهي أيضاً الفهم، وهي أيضاً الورع، وجميع هذه الأقوال التي قالها المتأولون قريب بعضها من بعض، ويؤيد بعضها بعضاً، وذلك أن الحكمة مصدر من الإحكام، وتعني الإتقان، وكتاب الله سبحانه وتعالى حكمة، وسنة نبيه حكمة أيضاً، ومن هنا فإن جميع هذه الأقوال ترتبط بهذا العمل المحكم، وهي جزء من هذه الحكمة(1).

إن الحكمة في الآية السابقة تُفسر بالعلم، والكتاب، والدين، وغيرها، ومن هنا فإن من يطلع على هذه الأمور فقد آتاه الله رزقاً حسناً من عنده، ولذا وصف سبحانه وتعالى هذه الحكمة بأنها خير كثير، وعبر عن إيتائها بأنه إيتاء لخير كثير وفير، وربط سبحانه وتعالى هذا الإيتاء بمشيئته سبحانه، فليس من المعقول أن يؤتى المرء الحكمة من تلقاء نفسه، وإنما يؤتاها من لدن الله سبحانه وتعالى(2).

([1]) ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 364.

([2]) النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 220.

إن الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة قد نوه إلى أن هذه الحكمة التي اختُلف فيها من قبل العلماء لا تؤتى لأي كان، وإنما يؤتيها سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده، وحين يؤتى هذا الإنسان تلك الحكمة فإنه يكون قد أوتي خيراً كثيراً من عند الله سبحانه وتعالى، وأصل هذه الحكمة ما يؤتى به اجتناباً للسفه، فالعلم حكمة، لأنه يقي من السفه، والقرآن والسنة والعقل والعلم، والفقه كلها أمور يُحترز بها عن السفه، ومن هنا فإنها جانب من جوانب هذه الحكمة التي أشار إليها سبحانه وتعالى في الآية الكريمة(1).

وبهذا يتبين من خلال نص الآية القرآنية الكريمة أن هذه الحكمة خير كثير يمنحه الله سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده، ولقد رأينا أن من تفسيرات هذه الحكمة: العلم، والفقه، وهكذا من الأمور التي يمكن أن تعد رزقاً للإنسان، أو أن تكون سبباً من أسباب الرزق، فقد يجلب العلم للإنسان الرزق، وهكذا الأمر مع الفقه، وبناء عليه فإن الحكمة التي سبقت الإشارة إليها في الآية الكريمة ما هي إلا رزق من الله سبحانه وتعالى يسوقه لعباده المؤمنين الصالحين الذين يعلّمهم الحكمة من لدنه سبحانه.

والآيات التي تتناول موضوع الرزق مرتبطاً بالمشيئة الإلهية كثيرة بالقدر الذي لا يمكن معه مناقشتها جميعها في هذه الدراسة، لذا فإن الباحث سيشير إليها فيما يلي:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (سورة الرعد، آية: 26).

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (سورة الإسراء، آية: 30).

وقوله سبحانه أيضاً: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (سورة الكهف، آية: 39).

([1]) الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 3، ص: 330.

والمعنى الأمر ما شاء الله، أو هو ما شاء الله، والمقصود الجنة، وهذا متعلق بالمشيئة الإلهية في الرزق(1).

ويقول سبحانه أيضاً: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً﴾ (سورة الفرقان، آية: 10).

وهو خطاب من الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم، يبين فيه أن الرزق بيده سبحانه، وأنه لو أراد لجعل لنبيه قصوراً عاليات، فهذه الآية مختصة بالمشيئة في باب الرزق(2).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة النور، آية: 38).

ويقول سبحانه: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة القصص، آية: 82).

ويقول أيضاً: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة العنكبوت، آية: 62).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الروم، آية: 37).

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة سبأ، آية: 36).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سورة سبأ، آية: 39).

([1]) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 10، ص: 406.

([2]) ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 4، ص: 201.

ويقول سبحانه أيضاً: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة يس، آية: 47).

وفي قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الزمر، آية: 52).

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة الشورى، آية: 12).

وفي قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (سورة الشورى، آية: 19).

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (سورة الشورى، آية: 27).

إن جميع هذه الآيات القرآنية الكريمة تتحدث عن مشيئة الله سبحانه وتعالى وإرادته في أمر الرزق، سواء أكان هذا الرزق مالاً أم غير ذلك، وبعد أن ناقش الباحث عدداً من الآيات القرآنية التي تحدثت عن الربط بين المشيئة والرزق فإنه يخرج بالنتائج الآتية:

1 . كنى القرآن الكريم عن أشكال الرزق المختلفة بلفظ عام هو "الرزق" وما يشتق من هذا اللفظ، كالفعل "يرزق"، ويبسط الرزق"، وهكذا، وفي أحيان كثيرة كان القرآن الكريم يصرح بأشكال الرزق، مثل: المطر، والعلم، والحكمة، والغنى، والطعام، وغيرها.

2 . ارتكزت الآيات القرآنية الكريمة في حديثها عن المشيئة الإلهية في جانب الرزق على بيان أن هذا الرزق لا يحصل إلا بمشيئته سبحانه وتعالى وحده، وحين يشاء هو أن يرزق أحداً رزقاً ما فلا راد لمشيئته سبحانه وتعالى.

3 . إن هذا التأكيد القرآني على ارتباط الرزق بالمشيئة الإلهية فيه طمأنينة للناس كافة بأن أحداً لن يعتدي على أرزاقهم، وأن ما كُتب لهم من الرزق من عند الله سيأتيهم لا شك، وذلك لأنه سبحانه قد تكفل بإعطاء الناس كافة أرزاقهم،

وتكفل بأن أحداً لن يعتدي على تلك الأرزاق المقدرة لهم، وهذا كله طمأنينة للبشر على أقواتهم.

2.3 **المشيئة الإلهية وفضل الله تعالى**:

ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى عدد من الآيات القرآنية الكريمة التي ربطت بين مشيئته سبحانه وتعالى وفضله، وكان مصطلح الفضل في تلك الآيات يأخذ شيئاً من الدلالة المتوسعة، إذ دل هذا المصطلح على معانٍ متعددة ضمن إطار السياق القرآني للآية الكريمة الواحدة، وذلك ما سيتضح خلال حديث الباحث عن هذا الميدان من ميادين المشيئة الإلهية.

1.2.3 **مفهوم فضل الله تعالى**:

بيّن ابن منظور أن المقصود بالفضل الزيادة والعلو، وهو نقيض النقيصة، فيقال: رجل فاضل، أي: رجل مرتفع في درجته، يفوق غيره بالخير، كما يشير هذا المصدر إلى معنى الإحسان، والخير، والسماحة، والمعروف(1).

أما مفهوم الفضل في الاصطلاح فيختص بابتداء الإحسان والخير دون علة دافعة لابتداء هذا الإحسان(2)، كما يبين بعض العلماء أن الفضل هو الزيادة على الاقتصار، فالفضل مرتبط بالزيادة، وهو معنى مأخوذ كما نرى من المعنى اللغوي للفضل(3).

إذن فإن المقصود بفضل الله سبحانه وتعالى معنى الفضل مضافاً إليه سبحانه، فالزيادة، والخير والإحسان، وابتداء الإحسان، كل هذه الأمور مخصوصة بالحديث، وهي من ناحية أخرى مضافة في مدلولها إلى الله سبحانه وتعالى.

([1]) ابن منظور. لسان العرب، ج: 11، ص: 524 ــ 525.

([2]) الجرجاني. التعريفات، ص: 167.

([3]) المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 261.

ونجد أن مصطلح "فضل الله تعالى" يأتي بمعنى أجره، فحين يقول سبحانه: ذلك فضل الله، أي: ذلك أجر الله، فالفضل هو الأجر(1).

ويبين المفسرون أن فضل الله تعالى اسم جامع لما يتعلق بكافة أشكال الرزق، فإن فضل الله تعالى أمر متعلق بإحسانه، وامتنانه، وبكل أشكال الخير التي يفيضها على عباده، من علم، وبر، وتجارة رابحة، ورزق بكافة أشكاله، فمعنى قوله "فضل الله" في الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (سورة الجمعة، آية: 10) كافة أشكال الرزق الحسن، وربما اختصه بعض المفسرين بالعلم النافع(2)، وبهذا قال أبو حيان الأندلسي(3)، والخطيب الشربيني(4).

ويمكن للباحث أن يضع تعريفاً لفضل الله سبحانه وتعالى بأنه: إحسانه سبحانه، وامتنانه على عباده، وأجره الذي أعده لهم، وزيادة ذلك الأجر والثواب لهم، كل هذه المعاني المخصصة للفضل مضافاً إليها ربطها بالله سبحانه وتعالى، فهو المتفضل على عباده.

2.2.3 **أنواع الفضل**:

هناك أنواع كثيرة للفضل، وهذه الأنواع لا يمكن إحصاؤها وفق مجموعة محددة معينة، إذ هي في تغير وتبدل بسبب ديمومة إحسان الله سبحانه وتعالى لعباده،

([1]) ومن القائلين بهذا القول: السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (د.ت). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ــ سوريا، ج: 4، ص: 77، و ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي (1998م). اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 6، ص: 585.

([2]) الخازن. لباب التأويل، ج: 4، ص: 294.

([3]) أبو حيان. البحر المحيط، ج: 10، ص: 175.

([4])الشربيني، أحمد بن محمد (1285هــ). السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة ــ مصر، ج: 4، ص: 289.

وتكرمه عليهم، فلا يمكن إحصاء أنواع الفضل هذه، غير أن الباحث سيشير إلى أهم تلك الأنواع، إذ إن من أنواع الفضل تمام أجور المؤمنين، واكتمال إحسان الله سبحانه وتعالى عليهم بإدخالهم الجنة يوم القيامة، وزيادتهم من فضله سبحانه، وذلك بتعداد النعم والخيرات الموجودة في الجنة، من أنهار تجري من تحتهم، وأشكال الزروع والثمار والطعام، فكل هذا من فضله سبحانه وتعالى(1)، وفي هذا المعنى يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ (سورة النساء، آية: 173)، فمن تمام فضله سبحانه وتعالى على عباده أن زادهم من هذا الفضل، وأعطاهم الخير الوفير، وأحسن إليهم بتلك الخيرات التي أعدها لهم في الجنة.

ونجد آيات القرآن الكريم تمنح المؤمنين قدراً كبيراً من هذا الفضل، حتى إنه سبحانه وتعالى قد جعله غير محدد ولا مُقدر، بل وصفه ــ أي الفضل ــ بأنه خاضع لإرادته سبحانه وتعالى، فإنه يفعل ما يريد بعباده المؤمنين الذين أدخلهم الجنة من أشكال الفضل وأنواعه، إذ لا حصر لتلك الأنواع التي يتفضل بها سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين الصالحين(2)،، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (سورة الحج، آية: 14).

وتتسع دائرة فضل الله سبحانه وتعالى لتشمل مجموعة من أفعاله سبحانه التي يخص بها عباده عموماً، كالرحمة والرأفة، فإن هذه الأفعال تدخل ضمن أنواع فضل الله سبحانه وتعالى على عباده وتكرمه عليهم(3).

([1]) الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 23، ص: 210.

([2]) ابن عادل الحنبلي. اللباب في علوم الكتاب، ج: 14، ص: 37.

([3]) مجموعة من العلماء (1993م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم، بإشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى، ج: 5، ص: 594.

أما إذا نظرنا إلى أنواع الفضل عموماً دون أن نربطها بالله سبحانه وتعالى، أي فضل المخلوق على المخلوق فإن أنواع الفضل ثلاثة، هي(1):

الأول: فضل من حيث الجنس، وذلك كفضل الحيوان على النبات، فإن الحيوان يزيد في فضله على النبات.

الثاني: فضل من حيث النوع، وهو كفضل الإنسان على سواه من المخلوقات الأخرى من حيوان وغيرها.

وهذان النوعان لا يمكن للناقص فيهما أن يستفيد الفضل كي يلحق بمن سبقه، فمثلاً: لا يمكن للحمار أو الفرس أن يستفيدا الفضل فيلحقا بالإنسان الذي يفوقهما في الفضل.

الثالث: فضل من حيث الذات، وذلك مثل تفضل إنسان على آخر في ذاته، أما هذا النوع فيمكن للناقص فيه أن يلحق بالأفضل، ولكن ذلك ليس على مستوى العموم، فمثلاً: إذا كان الفضل عرضياً، كالمال، أو الرزق، أو ما شابههما فإنه يمكن للناقص من الذاتين أن يكتسب هذا الفضل ويلحق بالأفضل، أما إذا كان الفضل ذاتياً، كفضل الرجل على المرأة بالقوامة، والقوة الجسدية، والجاه، والمال وغيرها من الأمور التي فضل بها سبحانه وتعالى الرجال على النساء، وفضل بعض النبيين على بعضهم، وهذا النوع لا يمكن اكتسابه لعدم تعلقه بمشيئة المفضل أو المفضول عليه.

وبناء على ما سبق كله فإن الباحث يرى أن الفضل ليس اسماً لشيء واحد، وإنما هو اسم جامع لعدد كبير من محاسن الأقوال والأفعال، هذا في معناه العام المرتبط بالبشر، أما الفضل حين يرتبط بالله سبحانه وتعالى فإنه يختص بتلك المنح الربانية التي منحها سبحانه وتعالى لعباده، سواء في حياتهم الدنيا، أم في الآخرة بعد إدخال أهل الجنة الجنة، فإنه سبحانه وتعالى قد خصهم بمزيد من الفضل، وكثير من العناية الإلهية، إذ لا يتوقف أمر تفضله سبحانه وتعالى على عباده بإدخالهم الجنة فحسب، بل يمتد إلى تعدد أنواع النعيم فيها، وأشكال رغد العيش داخلها.

([1]) بن حميد، صالح بن عبد الله وزملاؤه (د.ت). نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة ــ السعودية، الطبعة الرابعة، ج: 7، ص: 3108.

ومن ناحية أخرى فإن أنواع الفضل ترتبط بطبيعة المخلوقات التي أوجدها الله سبحانه وتعالى، فالإنسان يفضل الحيوان والنبات، والحيوان يفضل النبات، والإنسان قد يفوق غيره من الناس بالفضل أيضاً لصفة ذاتية فيه، فهذا النمط من أنواع الفضل خاضع لإرادته سبحانه وتعالى في ابتداع مخلوقاته، وتفضيل بعضها على بعض.

3.2.3 آيات المشيئة الإلهية وفضل الله تعالى:

هناك مجموعة من الآيات القرآنية التي ربطت بين مشيئته سبحانه وتعالى وفضله على عباده سواء منهم المؤمنين أم غير المؤمنين، وذلك في إطار الامتنان بالنعم التي أنعمها سبحانه وتعالى على عباده، وفيما يلي عرض لأهم تلك المواضع، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (سورة البقرة، آية: 90).

تحدثت الآية القرآنية الكريمة عن إنزال الفضل من الله سبحانه وتعالى على من يشاء من عباده، والمقصود بقوله: من يشاء من عباده، سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذ أنزل سبحانه وتعالى الفضل من عنده إليه(1).

إن هذه الآية القرآنية الكريمة تبين أن من بين أنواع الفضل التي يتفضل بها سبحانه وتعالى على عباده إنزال النبوة والكتاب على أحد عباده فضلاً من عنده، والمقصود بأحد العباد النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فالفضل هنا بمعنى الكتاب أو النبوة(2).

كما تبين هذه الآية الكريمة أن هذا الفضل نزل بإذنه سبحانه وتعالى على نبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإن كان اليهود يحسدونه على هذا الفضل، فإنهم كانوا يظنون أن النبوة المنتظرة ستكون فيهم، ولما كانت تلك النبوة المنتظرة في العرب دفعهم ذلك إلى حسد النبي الكريم على ما آتاه الله سبحانه وتعالى من فضله

---

[1]. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 109.

([2]) الخازن. لباب التأويل، ج: 1، ص: 60.

ببعثه نبياً للعالمين، وإنزال القرآن عليه، فأدى بهم الأمر إلى أن يبوؤوا بغضب الله سبحانه وتعالى على عنتهم وتكبرهم وحسدهم(1).

إن الآية الكريمة تربط بين المشيئة الإلهية وفضل الله سبحانه وتعالى المتمثل إما بالنبوة، أو بإنزال الوحي، أو بإنزال القرآن الكريم على سيدنا محمد، ربطت بين هذا كله والمشيئة الإلهية المختصة باصطفاء النبيين من قبله سبحانه وتعالى، فإن مسألة اصطفاء الأنبياء خاضعة لمشيئته سبحانه وتعالى، وليست خاضعة لإرادة أحد من البشر، فهذا الاصطفاء والاجتباء لا يكون إلا بمشيئته سبحانه وتعالى(2).

ارتكزت الآية الكريمة السابقة في ربطها بين المشيئة الإلهية وفضله سبحانه وتعالى على ما يلي:

1 . لم تكن المشيئة على اتصال مباشر بفضله سبحانه وتعالى، فإن المشيئة الإلهية اقتضت بداية اجتباء النبي الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ نبياً ورسولاً، ومن ثم اقتضى ذلك إنزال الفضل منه سبحانه وتعالى على هذا النبي الذي اقتضت مشيئته إرساله للعالمين.

2 . في هذه الآية الكريمة رداً صارماً على اليهود الذين حسدوا النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ على ما آتاه الله سبحانه من الفضل والقرآن والنبوة، فلقد أكدت هذه الآية على أن هذا الأمر ليس خاضعاً لإرادة البشر، وإنما هو خاضع لمشيئته سبحانه وتعالى، فهو وحده المتصرف بهذا الأمر.

3 . ورد الفضل في هذه الآية الكريمة بمعنى النبوة، أو القرآن، أو الوحي منه سبحانه وتعالى، وهذه المعاني كلها مختصة به سبحانه، لذا سمى ذلك فضلاً من عنده، إذ هو إحسان من الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة بأن أرسل إليهم نبياً بلسانهم، وكفى بهذا من فضل.

([1])النووي، محمد بن عمر (1417هــ). مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 32.

([2])القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد (1418هــ). محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 350.

وفي قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران، آية: 73).

تناولت هذه الآية الكريمة الحديث عن الهدى، وبيّنت أن هذا الهدى إنما هو بيد الله سبحانه وتعالى، ثم إنه سبحانه قد ربط بين هذا الهدى وفضله، فاختتمت الآية الكريمة ببيان أن الفضل كله بيد الله رب العالمين، ومن هنا فإنه سبحانه وتعالى يؤتي فضله من يشاء من عباده(1).

إن جملة قوله سبحانه وتعالى: قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، اشتملت على رد على اليهود فيما ذهبوا إليه من القول بأنه لن يؤتى أحد مثلما أوتوا هم من الدين والإيمان، فرد عليهم سبحانه وتعالى بهذه الجملة، وبين أنه وحده سبحانه هو المالك لهذا الفضل، وهو المعطي له لمن يشاء من عباده، والمقصود بالفضل هاهنا الرسالة والدين، فكل الفضل بيده سبحانه وتعالى، والأصل في معنى الفضل الزيادة، ولكنه سبحانه وتعالى قيد هذا الفضل بمشيئته، فالفضل موقوف على تلك المشيئة الإلهية التي يتفضل بها سبحانه وتعالى على من يشاء من عباده(2).

وهذه الآية الكريمة التي تؤكد على أن الفضل بيد الله سبحانه وتعالى وأنه سبحانه يعطي هذا الفضل لمن شاء من عباده، فإنها تكذب اليهود من ناحية أخرى حين افترضوا أن أحداً لن يؤتى من فضل الله سبحانه وتعالى ودينه مثل ما أوتوا هم، فكان الرد الإلهي في هذه الآية الكريمة واضحاً وصارماً، وبيّن سبحانه أنه صاحب الفضل، ولا أحد يمكن أن يملك شيئاً من هذا الفضل، وإنه سبحانه وتعالى يؤتي هذا الفضل من يشاء من عباده(3).

وكما أشرنا من قبل فإن هذه الآية الكريمة قد ربطت بين قوله: فضل الله، وقوله هدى الله، فلا شك أن هناك ترابطاً بين هذين اللفظين، وفي حقيقة الأمر هناك ترابط يتمثل بأن هدى الله وفضله يلتقيان في معنى دينه ورسالته، وما يبعث به

([1]) الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 374.

([2]) الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 8، ص: 261.

([3]) الثعالبي. الجواهر الحسان، ج: 2، ص: 62.

أنبيائه، فإن هذه الرسالة الإلهية فضل منه سبحانه وتعالى أنزله على عباده المؤمنين من أمة سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهي رسالة اختص بها سبحانه وتعالى هذه الأمة دون سائر الأمم، خاصة بني إسرائيل الذين كانوا يظنون أن الله سبحانه وتعالى لن يؤتي غيرهم فضلاً من عنده، ولكن كانت هذه مشيئتهم، والواقع أن النفاد لمشيئة الله سبحانه وتعالى، فمشيئته سبحانه تقتضي أن يؤتي ذلك الفضل أياً من عباده، ولا يقصره على طائفة أو جماعة معينة من عباده، لذا فإنه أنزل هذا الفضل على أمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولم تصدق أقوال اليهود فيما ذهبوا إليه من أنهم أهل الرسالة والهدى والفضل، ولن يؤتى أحد مثل ما أوتوا.

ونجد فضل الله سبحانه وتعالى ومشيئته يلتقيان مع معنى الجهاد في سبيل الله، والقتال من أجل إعلاء كلمة الدين، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة، آية: 54).

بيّنت هذه الآية الكريمة مجموعة من الصفات التي وصف بها سبحانه وتعالى القوم الذين يحبهم ويحبونه، وتلك الصفات هي:

ــ إنهم أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين.

ــ إنهم يجاهدون بالله بأنفسهم، ويبذلون المهج والأرواح رخيصة لمن يحبهم ويحبونه.

ــ إنهم لا يخافون لومة لائم بما يفعلونه إرضاء لله تعالى.

وهذه الصفات التي وصف بها سبحانه وتعالى عباده الذين يحبهم، وما هذه الصفات إلا دليل منهم على محبتهم لله سبحانه وتعالى، ثم إنه سبحانه قد أرجع هذا كله إليه، وأوضح أن هذا فضله وحده يؤتيه من يشاء من عباده، وليس الأمر مكتسباً منهم(1).

([1]) القشيري. لطائف الإشارات، ج: 1، ص: 433.

ومن ناحية أخرى فإن هذا الفضل الذي يعطيه الله لمن يشاء من عباده آتٍ من سعة ملكه سبحانه وتعالى، وسعة فضله على الناس، فهو واسع في هذا الفضل، يسبغ النعم على عباده الذين يحبهم ويحبونه، عليم بأحوالهم، ويعطيهم فضله وفق علمه وسعة ذلك الفضل(1).

إن جميع هذه الصفات التي تظهر على العباد نتيجة حبهم لله سبحانه وتعالى، سواء الجهاد في سبيل الله، أم التذلل للمؤمنين والعزة مع الكافرين، وعدم الخوف من لومة لائم، جميع هذه الصفات إنما تحصلت لهؤلاء العباد فضلاً من الله سبحانه وتعالى، وصوراً من صور رحمته به سبحانه، فهو المتفضل بألوان الفضل على عباده، إذ لسعة فضله وصف نفسه سبحانه بأنه واسع، أي: واسع الفضل، عليم بمن هو أهل لهذا الفضل(2).

إن معنى فضل الله في الآية الكريمة مرتبط بتلك النعم التي يسبغها على عباده المؤمنين الصالحين حين يقع منهم الحب لله تعالى، ومن ثم يقع حب الله سبحانه وتعالى لهم، فإنه سبحانه يمنحهم تلك المظاهر والخصال الحسنة التي من شأنها أن تكون زيادة في إحسانه سبحانه وتعالى لهم، ومن شأنها أن تبيّن مكانتهم عند الله سبحانه، وما هذا كله إلا فضل منه، ولكن هذا الفضل مقيد بالمشيئة الإلهية، فقد أثبتت المشيئة الإلهية هذا الفضل كله لقوم يحبهم الله ويحبونه، ونفته عمن لا يتسمون بهذه السمة القلبية المهمة لتحقق فضل الله سبحانه وفقاً لمشيئته.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة يونس، آية: 107).

مزجت الآية السابقة بين طرفين في احتمال المشيئة الإلهية، أما الطرف الأول: فيتمثل بالضر الذي يملكه سبحانه وتعالى يصيب به من يشاء، أما الطرف الثاني فيتمثل بالفضل الذي يملكه أيضاً سبحانه وتعالى ويصيب به من يشاء من

([1]) ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 2، ص: 208.

([2]) النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 455.

عباده، فالمزج هاهنا ظاهر بين الفضل والضر، والفضل أظهر، فإن الله سبحانه وتعالى يصيب بهذا الفضل من يشاء من عباده، وهو أمر يخضع لمشيئته لا لمشيئة غيره من مخلوقاته(1).

وهناك من المفسرين من يرى بأن المقصود بقوله: يصيب به من يشاء" إنما هو الفضل وحده دون الضر، وذلك لأن الفضل مقصود بالذات، والضر إنما مسهم لا بالقصد الأول(2).

ورد الفضل في الآية الكريمة السابقة كاسم جامع لكافة أشكال الخير والبركة والسعة والإحسان التي يتفضل بها سبحانه وتعالى على عباده، ولم يخص سبحانه وتعالى هذا الفضل بجانب من الجوانب دون غيره من الجوانب، فورد الفضل في هذه الآية وفق معناه العام(3).

ورد الفضل في الآية الكريمة كما سبقت الإشارة دون تخصيص أو تحديد لطبيعة هذا الفضل، وإنما ورد عاماً في نظر الباحث لأنه يختص بالنبي الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإنه سبحانه قد جعل هذا الفضل عاماً شاملاً لكافة أوجه الخير والإحسان التي يحسن بها سبحانه وتعالى على نبيه الكريم، ومن هنا كان معنى الفضل عاماً في الآية الكريمة.

وهناك مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عن فضل الله سبحانه وتعالى وتربطه بالمشيئة الإلهية، ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الحديد، آية: 21).

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الحديد، آية: 29).

وفي قوله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الجمعة، آية: 4).

([1]) البغوي. معالم التنزيل، ج: 2، ص: 437.

([2]) البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 3، ص: 126.

([3]) الشوكاني. فتح القدير، ج: 2، ص: 543.

ومن خلال ما سبق فإن الباحث يصل إلى النتائج الآتية:

1 . يرد الفضل مرتبطاً بالمشيئة الإلهية في كتاب الله تعالى عند حديثه سبحانه عن الجوانب التي تتعلق بالفضل، كالرحمة، والنعم، والإحسان، وغيرها، فإن هذه المعاني كلها ترد مرتبطة بالفضل، ويرد الفضل بدوره مرتبطاً بالمشيئة الإلهية، فلولا مشيئته سبحانه وتعالى لما أُعطي هذا الفضل لأحد من خلقه، فهو المتفضل على عباده.

2 . من أبرز المعاني التي يرد بها الفضل في الآيات القرآنية الكريمة: الهدى، والدين، والرسالة، والرحمة، والإحسان، كما يرد بمعناه العام ويقصد منه الشمول لكافة أشكال الفضل التي يتفضل بها سبحانه وتعالى على عباده.

3.3 **المشيئة الإلهية ورحمة الله تعالى:**

سيتناول هذا المبحث من هذه الدراسة الحديث عن المشيئة الإلهية وعلاقتها برحمته سبحانه وتعالى، فقد ربطت آيات القرآن الكريم المشيئة الإلهية برحمته سبحانه وتعالى، ولذا فإن الحديث في هذا المبحث سينصب على المطالب الآتية:

1 . مفهوم رحمة الله سبحانه وتعالى.

2 . سعة رحمته سبحانه وتعالى.

3 . الآيات القرآنية التي تربط بين رحمته سبحانه وتعالى ومشيئته.

1.3.3 **مفهوم الرحمة الإلهية:**

يبين ابن منظور أن لفظ الرحمة مأخوذ من الفعل "رحِم" وهو فعل يدل على معنى الرقة واللين والمغفرة، والتعطّف، فالرحمة هي الرقة واللين والتعطف والمغفرة، والمرحمة بهذا المعنى أيضاً، وقد وصف سبحانه وتعالى القرآن الكريم بأنه رحمة للعالمين، أي فيه رحمة للناس أجمعين(1).

([1]) ابن منظور. لسان العرب، ج: 12، ص: 230.

اشتمل كلام ابن منظور السابق على معنى عام للرحمة، وهو معنى يشتمل على أشكال المغفرة كلها، واللين، والرقة في التعامل مع الآخرين، وهذه المعاني التي ذكرها ابن منظور يمكن أن تكون مشمولة في تعريف الجرجاني للرحمة، إذ بيّن الجرجاني أن الرحمة إرادة إيصال الخير(1)، وهذا المعنى عام يمكن أن يُدرج تحته كافة أشكال الخير واللين والرقة والمغفرة، وربما هذا ما قصده الجرجاني من هذا المعنى.

وعلاوة على أن المعنى الذي أشار إليه الجرجاني معنى عام في الرحمة، فهو أيضاً عام في ارتباطه بطرف من الأطراف، فإن هذا المعنى المخصص لإرادة إيصال الخير لا يرتبط بذات ما، أو شخص ما، وإنما هو عام الارتباط، فكل من يتصف بأنه يريد توصيل الخير للآخرين يمكن وصفه بأنه رحيم، في حين أن الرحمة الإلهية تزداد تخصيصاً بنسبتها لله سبحانه وتعالى، ليكون المعنى على ذاك متعلقاً بإرادته سبحانه وتعالى إيصال الخير بكافة أشكاله لأهل هذه الحياة الدنيا، فهذا كله من الرحمة الإلهية، فالمتصف بالرحمة هاهنا هو الله سبحانه وتعالى وليس أي ذات أخرى، وهو ما بيّنه السيوطي في معجمه(2).

ولقد اختص سبحانه وتعالى بهذه الرحمة في الدنيا والآخرة، فليس لمخلوق أن يشاركه في رحمته سبحانه، فهو الراحم الرحيم، ولذا قد أشار العلماء إلى أن اسم الرحمن يختص به سبحانه وتعالى، فلا يوصف غيره بأنه رحمان سواه سبحانه وتعالى، إذ إن هذه الصفة الإلهية تدل على عدم مشاركة غيره له بهذه الرحمة العظيمة، فهو سبحانه وتعالى المختص بهذه الرحمة، ولا يقارن سبحانه وتعالى بغيره من المخلوقين، إذ إن هذه الصفة تدل على تنزّهه سبحانه وتعالى عن مقارنته بغيره في رحمته سبحانه(3).

يعني هذا أن الرحمة الإلهية اسم جامع لكافة أشكال الإرادة الإلهية الخير للناس عموماً، سواء أكان هذا الخير متعلقاً بأمور الحياة الدنيا، أم بأمور الحياة

([1]) الجرجاني. التعريفات، ص: 110.

([2]) السيوطي. معجم مقاليد العلوم، ص: 75.

([3]) الكفوي. الكليات، ص: 467.

الآخرة، فإن رحمته سبحانه وتعالى تشمل الحياتين، ومن ناحية ثانية فإن أمر الرحمة الإلهية المختصة بالخير للناس تشمل كافة جوانب التكاليف الإلهية اليسيرة التي يسّرها سبحانه وتعالى على عباده الصالحين، فكان بحكم عبوديتهم أن سمعوا وأطاعوا الله سبحانه وتعالى، فهذا جانب مختص ببعباد الله المؤمنين دون غيرهم من مخلوقاته سبحانه(1).

ومن سبل رحمته سبحانه وتعالى في هذه الحياة الدنيا أنه أنزل القرآن الكريم، فالقرآن رحمة للناس أجمعين، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف، آية: 52)، فإن هذه الآية الكريمة تبيّن أن التمسّك بالقرآن الكريم سبيل إلى تحصيل الرحمة الإلهية، وسعادة الدنيا والآخرة بإذنه سبحانه وتعالى(2).

أما بما يتعلق بمفهوم الرحمة الإلهية عند المفسرين فإنها تشير إلى معنى الرفق الإلهي بالعباد، فإنه سبحانه وتعالى لا يطالب عباده بما لا تطيق نفوسهم، وبما لا تستطيع أجسامهم، بل إنه سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، وهذا من مقتضيات الرحمة الإلهية(3).

وبمقتضى هذه الرحمة الإلهية التي تقوم على أساس من الرفق الإلهي بعباده المؤمنين، إذ إنه سبحانه وتعالى لا يكلفهم إلا ما في وسعهم وطاقتهم، فإن على العباد أن يسمعوا ويطيعوا لما أمرهم سبحانه وتعالى بسبب هذه الرحمة التي تقتضي مبدأ الرفق بهم(4)، وممن قال بهذا المعنى للرحمة الإلهية القاسمي(5).

ومما سبق يتضح لنا أن المعنى اللغوي يتوافق مع المعنى الاصطلاحي في الدلالة على ما يلي:

([1]) الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 7، ص: 115.

([2])أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (1961م). شريعة القرآن من دلائل إعجازه، دار العروبة، القاهرة ـــ مصر، الطبعة الأولى، ص: 72.

([3]) الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 7، ص: 115.

([4]) ابن عادل الحنبلي. اللباب في علوم الكتاب، ج: 4، ص: 531.

([5]) القاسمي. محاسن التأويل، ج: 2، ص: 241.

1 . الرحمة اسم عام جامع لكافة أشكال الخير.

2 . يدخل ضمن مفهوم الخير أبوابه كلها، كاللين، والمغفرة، والرأفة، والرقة وغيرها من الأمور.

3 . للرحمة أسباب وسبل، يمكن معرفتها من خلال طرق الرحمة بين الخلق والخالق.

أما الرحمة الإلهية فهي أوسع وأشمل من الرحمة التي يوصف بها الخلق، فإن رحمة الخلق بين بعضهم بعضاً لا تُقارن مع رحمته سبحانه وتعالى، لذا فإن الرحمة الإلهية تشمل كافة أشكال الحياة الدنيوية والآخروية التي يعيشها الناس بكافة نعمائها وخيراتها.

2.3.3 سعة رحمته سبحانه وتعالى:

وصف سبحانه وتعالى نفسه بالرحمة في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، وهذه الآيات الكريمة التي تحدّثت عن رحمته سبحانه وتعالى تشير لنا إلى سعة تلك الرحمة الإلهية، هذا علاوة على وصفه سبحانه وتعالى لبعض متعلقات رحمته بأنها واسعة، كالمغفرة مثلاً، والمغفرة كما بيّنا سابقاً شكل من أشكال الرحمة الإلهية، وذلك إذ يقول سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (سورة النجم، آية: 32).

فهذه الآية الكريمة تشير إلى مظهر من مظاهر رحمته سبحانه وتعالى، فإنه واسع المغفرة، والمغفرة مظهر من مظاهر رحمته سبحانه وتعالى، حتى إنها قد تُطلق على رحمته سبحانه، فإنه سبحانه وتعالى واسع المغفرة، وواسع الرحمة، يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وقد خلق الخلق من نطفة، ثم جعلهم أجنة في بطون أمهاتهم، كل هذه الأطوار التي قدّرها سبحانه وتعالى للبشر مظاهر لرحمته بهم سبحانه وتعالى(1).

---

(1) الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 9، ص: 149.

ويبين سبحانه وتعالى أن سعة رحمته قد بلغت كل شيء، يقول سبحانه: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف، آية: 156).

تبين الآية الكريمة أن رحمة الله سبحانه وتعالى قد وسعت كل شيء، فليس هناك شيء في الدنيا إلا وعليه مظهر من مظاهر رحمته سبحانه وتعالى، حتى الكافر والمشرك والحيوان عليه من رحمة الله سبحانه وتعالى، فكل مخلوق من مخلوقاته سبحانه تظهر فيه بعض ملامح تلك الرحمة، لكن الله سبحانه وتعالى قد اختص ببعض مظاهر تلك الرحمة عباده المؤمنين الذين يؤتون الزكاة، ويصلون، ويعملون الصالحات، فإنه سبحانه وتعالى يختصهم برحمة خاصة ليست كرحمة باقي المخلوقات، بل هي رحمة تخص أهل الإيمان والإحسان من عباده الصالحين(1).

إن الآية الكريمة حين ذكرت الرحمة الإلهية وسّعت أمرها في صدر الحديث، ثم خصصت بالمؤمنين، وهذا ما يشير إلى أن الرحمة في أوّل الأمر تخص كافة الناس والمخلوقات في الحياة الدنيا، كافراً، ومؤمناً، صالحاً وفاجراً، فالكل تمسّه رحمة الله تعالى، وهذا من سعة تلك الرحمة، فكل شيء يناله نصيبه من رحمة الله تعالى، أما في الحياة الآخرة فإن رحمته سبحانه وتعالى يختص بها عباده المؤمنين، ولا يمسّ الكافرين نصيب من هذه الرحمة، بل إن الله سبحانه وتعالى سيعذبهم عذاباً أليماً بما كسبوه في حياتهم الدنيا من شرور وكفر بالله تعالى، فالرحمة عامة في بداية الأمر، ثم تختصّ بالذين آمنوا دون سواهم من الكافرين والمشركين(2).

بيّنت الآية القرآنية الكريمة سعة رحمته سبحانه وتعالى، فإذا كان سبحانه يصف تلك الرحمة بأنها وسعت كل شيء، فهذا يدل على عظم تلك الرحمة، وعلوّ شأنها، واختصاصها بكافة الناس والمخلوقات، ثم إنه سبحانه وتعالى حين خصص عباده الصالحين بالرحمة دلّ على أنه لا يساوي بين كافة البشر في رحمته سبحانه

([1]) انظر: النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 609.

([2]) ابن عادل الحنبلي. اللباب في علوم الكتاب، ج: 9، ص: 338.

وتعالى، فهو يمنح الناس جميعاً رحمة من لدنه، ثم إنه يختص عباده المؤمنين برحمة خاصّة بهم تفوق تلك الرحمة التي يمنحها لكافة الناس، وهذا كله دليل على اتساع الرحمة الإلهية.

وفي موضع آخر بيّن فيه سبحانه سعة رحمته على لسان حملة العرش ــ وهم الملائكة ــ يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (سورة غافر، آية: 7).

فما جاء في الآية الكريمة على لسان حملة العرش عليهم السلام أن رحمة الله سبحانه وتعالى قد نالت كل شيء في هذه الحياة الدنيا، كما أن علمه سبحانه وتعالى قد نال كل شيء، فإن أي مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة الدنيا قد وصله شيء من رحمة الله سبحانه، فهو المختص بالرحمة دون سواه، وهذه الرحمة لا تقتصر على مخلوق دون آخر، أو جانب دون آخر، وإنما هي رحمة واسعة، شاملة، يمنحها سبحانه وتعالى لكل المخلوقات(1).

وهذا الوصف لرحمته سبحانه وتعالى من ملائكته الكرام يدل على المبالغة العظيمة في مقدار رحمته سبحانه وتعالى، فمهما بلغ الوصف لتلك الرحمة لن يبلغ حدّها، لذا وُصفت بأنها وسعت كل شيء، ومن ناحية أخرى فقد قدّم سبحانه وتعالى ذكر الرحمة على العلم في الآية الكريمة لأنها هي المقصودة بالذات، لذا قُدّمت على العلم(2).

تؤكّد الآية السابقة على سعة الرحمة الإلهية، بل إنها اقترنت في هذا الموضع بالحديث عن علمه سبحانه وتعالى، فكما أن علمه واسع عظيم، فإن رحمته سبحانه وتعالى واسعة عظيمة، والعكس بالعكس، فكما أن رحمته واسعة سبحانه وتعالى،

([1]) انظر: الكرماني. غرائب التفسير، ج: 2، ص: 1026.

([2])البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد (1418هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 5، ص: 52.

فإن علمه واسع أيضاً فقد وسع سبحانه وتعالى كل شيء رحمة وعلماً، فهو الرحيم الرحمن، الذي بلغت رحمته كل شيء في هذه الحياة الدنيا.

وهذه الرحمة الواسعة لها مظاهرها في الكون من حولنا، وفي حياتنا اليومية الدنيوية، فإنزال المطر رحمة منه سبحانه، وإرسال الرسل رحمة، وتعاقب الليل والنهار رحمة، فكل هذه الأمور وما سواها تعدّ مظاهراً من مظاهر رحمته سبحانه وتعالى، ولا يستطيع أحد أن يُحصي مظاهر الرحمة الإلهية، وإنما يبيّن المرء بعض تلك المظاهر كالمطر والرياح وغيرها مما ذكره القرآن الكريم(1).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن القرآن الكريم قد بيّن في نصوصه الواضحة الجليلة أن رحمة الله سبحانه وتعالى قد بلغت في سعتها حداً لا يمكن معه وصفه، فكل شيء يدب على الأرض، وكل مخلوق من مخلوقاته سبحانه وتعالى فيه مظهر من مظاهر تلك الرحمة الإلهية، وكل شيء في هذه الدنيا تناله تلك الرحمة، فحين يكون أمر الرحمة الإلهية على هذا فما مقدار تلك الرحمة؟! لا شك أن الإحاطة بوصف تلك الرحمة مستحيل بالنسبة لنا كبشر، وليس ابلغ من وصفه سبحانه وتعالى نفسه لرحمته حين وصفها بأنها وسعت كل شيء.

3.3.3 الآيات القرآنية التي تربط بين رحمته سبحانه وتعالى ومشيئته:

إن الرحمة الإلهية بسعتها التي وصفها الباحث في المطلب السابق تتحدد بمشيئة إلهية، وإرادة ربانية، بيّنها سبحانه وتعالى في غير موضع من كتابه العزيز، تلك المواضع التي ربط فيها سبحانه وتعالى بين رحمته ومشيئته، وأول هذه المواضع قوله سبحانه: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة البقرة، آية: 105).

حدّد سبحانه وتعالى الرحمة في هذه الآية الكريمة بأنها خاصة، وليست عامة كما مر بنا، كما ربط سبحانه بين تلك الرحمة ومشيئته، فالمشيئة الإلهية حين تختص في جانب الرحمة تجعل الرحمة مخصصة بشيء ما دون آخر، فقد قيل بأن المقصود

(1) الشعراوي. تفسير الشعراوي، ج: 17، ص: 10827.

بالرحمة هنا النبوة، وهو أمر يختص به بعض البشر دون بعضهم الآخر، وقيل أن المقصود هنا الهداية، والهداية أيضاً تختص ببعض الناس دون بعضهم الآخر، لذا كانت المشيئة هي التي تسيّر أمر الرحمة بمن تختصّ(1).

وبيّن القرطبي أن القول في أمر الرحمة هاهنا متعلق بالنبوة، أي أن الله سبحانه وتعالى يختصّ بنبوته من يشاء من عباده، وهو الذي خصّ محمداً عليه السلام بالرسالة دون سائر البشر، وقيل المقصود بالرحمة هاهنا القرآن، كما قيل إن المقصود بها هنا الرحمة العامة التي أفاض بها سبحانه وتعالى على خلقه في حياتهم الدنيا بكافة أشكالها، وليس المقصود رحمة بعينها دون سائر أشكال الرحمة الأخرى(2).

ومعنى أن تُجعل الرحمة في هذه الآية الكريمة مختصة بالنبوة في ظن الباحث معنى يؤيده السياق، فإن سياق الآية الكريمة يتحدث عن حسد أهل الكتاب من المشركين للذين آمنوا بأن آتاهم الله سبحانه وتعالى من رحمته، تكون هذه الرحمة نبوة أوجه في ظنّ الباحث.

إن هذه الرحمة الإلهية التي ذُكرت ضمن الآية الكريمة ارتبطت بالمشيئة الإلهية، فإن الله سبحانه وتعالى يخص برحمته من يشاء من عباده، وليس لأحد أمر التحكم بتلك الرحمة سواه سبحانه وتعالى، فمن هنا فإنه سبحانه قد أنزل من رحمته على عباده المؤمنين، وأرسل إليهم رسولاً منهم هو محمد عليه السلام، ولو أن الأمر بيد أهل الكتاب من المشركين لما أرادوا أن يؤتى أحد علماً من الله سواهم، غير أن هذا الأمر بيد الله وإرادته ومشيئته يخصّ به من يشاء من عباده، وليس لأحد أمر التصرف به سواه سبحانه(3).

بيّنت الآية القرآنية الكريمة علاقة المشيئة الإلهية برحمة الله سبحانه وتعالى، فإن رحمته بداية وسعت كل شيء، ولكن المشيئة الإلهية هي التي تخصّ جزءاً من عباد الله سبحانه وتعالى ببعض الرحمة الخاصة، فإن المشيئة الإلهية هي التي خصّت

---

(1) انظر: البغوي. معالم التنزيل، ج: 1، ص: 153.

(2) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 2، ص: 61.

(3) الخازن. لباب التأويل، ج: 1، ص: 68.

المسلمين بالرحمة أن جعل الله سبحانه وتعالى دينهم أقوم الأديان، وأنزل عليهم القرآن وهو رحمه منه سبحانه، وأرسل فيهم محمداً ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وهو أيضاً رحمة بهم، فالمشيئة الإلهية هي التي توجّه أمر الرحمة بالتخصيص لأناس من عباد الله سبحانه، فتجعلهم أكثر رحمة من غيرهم.

وفي موضع آخر شبيه بهذا الموضع يبيّن فيه سبحانه وتعالى أن أمر الرحمة خاصّ في بعض الأحوال يصيب به من يشاء من عباده، وذلك إذ يقول سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف، آية: 56).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ (سورة الإسراء، آية: 54).

ربطت الآية الكريمة رحمة الله تعالى وعذابه بالمشيئة الإلهية، فإن الله سبحانه وتعالى يرحم من يشاء وفق مشيئته، ويعذب من يشاء، وإن كان المفسرون قد اختلفوا في بيان معنى الرحمة هاهنا فقيل إنها الهداية إلى الحق، والعذاب عدم الهداية إلى الحق، كما قيل بأن الرحمة جنة الله سبحانه وتعالى، والعذاب نار جهنم والعياذ بالله(1).

وهذه الآية الكريمة تأكيد منه سبحانه وتعالى على أن الرحمة والعذاب بيده هو وحده، وليس لأحد أن يتصرف بهذه الأمور، لذا فالواجب على الأمة أن تنظر إلى الرحمة والعذاب على أنهما بيد الله تعالى، فلا يحكمون على أحد بأنه من أهل النار، لأن الله يرحم من يشاء، ويعذب من يشاء(2).

فالرحمة مرتبطة بالمشيئة الإلهية، فإن الله سبحانه وتعالى يرحم من يشاء من عباده، ويعذب من يشاء، وهذه الرحمة التي ترتبط بالمشيئة الإلهية ليست مقتصرة على مظهر معين من مظاهر الرحمة، بل قد يُقصد بها الهداية، وقد يُقصد بها الجنة،

([1]) الخازن. لباب التأويل، ج: 3، ص: 133.

([2]) أبو حيان. البحر المحيط، ج: 7، ص: 67.

وهكذا، فإن الرحمة عامة بعموم مظاهرها في مثل هذه الحالة، ومشيئته سبحانه وتعالى هي التي تقدر الرحمة لأناس، وتقدر العذاب لأناس آخرين.

أكّد سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في موضع آخر على أن رحمته سبحانه وتعالى تنال من يشاء من عباده، وأنه سبحانه وتعالى وفق مشيئته يُقدّر الرحمة بين العباد، أما الظالمون فإنه قد أعدّ لهم عذاباً أليما، يقول سبحانه في محكم التنزيل: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة الإنسان، آية: 31).

ومن مظاهر الرحمة الإلهية توبته على عباده الصالحين، وهذا المظهر من مظاهر الرحمة لا يختلف عن سواه من المظاهر الأخرى، فإنه مرتبط بمشيئته سبحانه وتعالى، فإن الله يتوب على من يشاء، يقول سبحانه: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة، آية: 15).

فالتوبة هاهنا مظهر من مظاهر رحمته سبحانه وتعالى، فإنه يتوب على من يشاء من الناس، فيهديه إلى الإيمان، ويغفر ما كان من ذنبه، كما حصل مع أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل، فإنهما كانا من صناديد أهل الشرك، ولكن الله سبحانه وتعالى تاب عليهم، وأدخلهم في الإسلام، وغفر لهم ما تقدم من أمر عنادهم وذنوبهم وشركهم(1).

فأمر التوبة بيد الله سبحانه وتعالى، وهو مظهر من مظاهر رحمته للناس أجمعين، فربما غفر سبحانه لأناس من أهل الشرك الذين أمر بقتالهم من قبل، فقد يتوب عليهم، ويدخلهم في رحمته، وهو أمر عائد إليه سبحانه وتعالى، وليس لأحد أن يتصرف بأمر هذه التوبة سواه، وأشار ابن عطية أيضاً إلى أنه قد يُقصد من التوبة هاهنا التوبة على المؤمنين بعد أن يقاتلوا أهل الشرك، فإنه يتوب عليهم بطاعتهم لأوامره سبحانه وتعالى(2).

([1]) انظر: البغوي. معالم التنزيل، ج: 2، ص: 322.

([2]) ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 3، ص: 14.

وترد هذه الفكرة في غير موضع من كتابه سبحانه وتعالى، وذلك إذ يقول: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة، آية: 27).

وفي قوله أيضاً: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (سورة الأحزاب، آية: 24).

فإن أمر التوبة التي هي مظهر من مظاهر رحمته سبحانه وتعالى متعلق بالمشيئة الإلهية، فإنه سبحانه وتعالى يتوب على من يشاء من عباده، ويعذب من يشاء، فهو وحده المتصرف بأمر هذه التوبة، والرحمة، والمغفرة، وليس لأحد سبيل لهذه الصفات الإلهية.

وفي نهاية المبحث يشير الباحث إلى ما يلي:

أولاً: إذا ارتبطت المشيئة الإلهية بالرحمة في كتاب الله تعالى فإنها تدل على تخصيص تلك الرحمة بجانب معين، أو بالمؤمنين، أما إذا وردت الرحمة عامة دون ربطها بالمشيئة الإلهية، فإنها تدل على رحمته سبحانه وتعالى لكافة خلقه.

ثانياً: تؤكّد آيات القرآن الكريم على أن أمر التوبة والمغفرة، والرحمة بيد الله سبحانه وتعالى، وخاضعة لمشيئته سبحانه، فهو يصيب بها من يشاء، ويمنعها عمن يشاء، وهو على كل شيئ قدير.

4.3.3 المشيئة الإلهية والاجتباء والتزكية:

يتناول هذا المبحث من الدراسة الحديث عن الاجتباء الإلهي وتزكيته سبحانه وتعالى لبعض خلقه، ويبين علاقة هذا الاجتباء والتزكية بالمشيئة الإلهية كما هو ميدان دراستنا، وذلك وفق المطالب الآتية:

1 . مفهوم الاجتباء.

2 . مفهوم التزكية.

3 . من هم الذين يجتبيهم الله ويزكيهم.

4 . الآيات القرآنية التي تربط بين المشيئة الإلهية والاجتباء والتزكية.

1.4.3.3 مفهوم الاجتباء:

يبين ابن منظور أن الاجتباء مصدر بمعنى الافتعال مأخوذ من الفعل "جبا، يجبو"، وهو دالّ في اصله على استخراج الأموال من مظانها، ومنه الجابي والجباية، وهو جلب الأموال من الناس على سبيل الضرائب أو ما شابه ذلك(1).

إذن فإن المعنى اللغوي للاجتباء يشير إلى معنى الجمع والجلب، وهو ما يراد به استخراج الشيء كالمال مثلاً من موضعه.

أما المعنى الاصطلاحي للاجتباء فإنه يدلّ على معنى الجمع على سبيل الاصطفاء من الله سبحانه وتعالى لرسله أو بعض خلقه، يقول المناوي في تعريفه للاجتباء: " الجمع على طريق الاصطفاء، واجتباء الله العبد تخليصه إياه بفيض إلهي يتحصل له أنواع من النعم بلا سعي منه وذلك للأنبياء وبعض من قاربهم من نحو صديق وشهيد"(2).

إذن فإن الاجتباء يعني الاصطفاء والاختيار منه سبحانه وتعالى لبعض عباده أنبياء ورسل وصالحين دون بذل اي جهد منهم من أجل تحصيل هذا الاجتباء، فإن الأساس فيه اختيار الله سبحانه وتعالى واصطفائه، وليس الأمر بمحض اختيار العبد، وإنما يتحصل للعبد تلك النعم دون بذل جهد منه(3).

أما مفهوم الاجتباء عند المفسرين فإننا نجد النيسابوري يبيّن لنا أن الأصل في معنى الاجتباء الجمع، فمعنى قوله: اجتبيت إليّ كذا، أي جمعته إليّ، هذا أصل المعنى في اللغة(4).

ولم يختلف الشيخ الشعراوي في معنى الاجتباء مع أصحاب كتب المصطلحات، فقد بيّن أن معنى الاجتباء الاصطفاء، فقوله: اجتباه الله، أي: اصطفاه للرسالة الإلهية، فهذا هو المعنى المقصود بالاجتباء(5).

([1]) ابن منظور. لسان العرب، ج: 14، ص: 129.

([2]) المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 38.

([3]) التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،ج: 1، ص: 100.

([4]) النيسابوري. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج: 4، ص: 578.

([5]) الشعراوي. تفسير الشعراوي، ج: 10، ص: 6087.

ومن هنا يظهر لنا المعنى اللغوي والاصطلاحي للاجتباء، وهو متعلق باصطفاء الله سبحانه وتعالى لبعض عباده الصالحين سواء أكانوا أنبياء، أم رسلاً، أم صالحين، أم شهداء، وهذا الاجتباء بمعنى الاصطفاء والاختيار منه سبحانه.

ويدلّ مفهوم الاجتباء على معنى الاختيار، غير أن الاختيار يدل على تناول صفوة الشيء أي خيره، والاجتباء يدل على تناول وسط الشيء، أي أفضله، ومن هنا كان الاجتباء أفضل من الاختيار(1).

2.4.3.3 مفهوم التزكية:

أصل التزكية في اللغة من الفعل "زكيَ"، والتزكية بمعنى الزكاة، وهاذان اللفظان يدلان على معنى التطهير، والتنمية، فالزكاة تدل على الطهارة، والنماء، والبركة، والمدح، فهذه المعاني هي أساس معنى التزكية في اللغة(2).

أما مفهوم التزكية الاصطلاحي فإنه يدل على نقيض التجريح، فإن وصف إنسان ما بوصف مخلّ به يسمى تجريحاً، وهو ما يقلل من توثيقه والأخذ بآرائه في كثير من الأحيان، أما التزكية فإنها تدلّ على معنى تثبيت الصفات الحميدة لشخص ما، مما يؤدي إلى توثيقه والأخذ بكلامه(3).

ويقول المناوي في تعريفه لمفهوم التزكية: " إكساب الزكاة وهي نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم... وأصل التزكية نفي ما يستقبح قولا أو فعلا، وحقيقتها الإخبار عما ينطوي عليه الإنسان"(4).

فالتزكية تدلّ على معنى المدح، أو تثبيت الصفات الحميدة في الإنسان، وهي نقيض التجريح، ولقد أُخِذ هذا المصطلح من الزكاة، بمعنى النماء والطهارة، فكأن

([1]) الراغب الأصفهاني. تفسير الراغب الأصفهاني، ج: 1، ص: 317.

([2]) ابن منظور. لسان العرب، ج: 14، ص: 358.

([3]) السيوطي. معجم مقاليد العلوم، ص: 60.

([4]) المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 96.

الإنسان المُزكّى قد طُهِّر من كل ما يشوب شخصيته من شوائب، أو من كل ما يعلق بها من صفات سيئة، فالتزكية نفي لتلك الصفات السيئة، وتثبيت لتلك الحسنة(1).

والتزكية عند المفسرين تدلّ على معنى التنزيه والتطهير من سائر العيوب والشوائب، فإن تزكية الشيء تطهيره، وهذا ما لا يمكن لأحد الحصول عليه إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته(2).

في حين أن ابن عادل الحنبلي يتحدّث لنا عن مفهوم للتزكية نقلاً عن ابن عباس – رضي الله عنه – وهو طاعة الله سبحانه وتعالى، والإخلاص له في سائر عمله، فهذا هو مفهوم التزكية عند ابن عباس(3)، وكذلك نقل النيسابوري(4).

ويقسم الشيخ الشعراوي مفهوم التزكية إلى قسمين هما: الأول: تطهير النفس من الشوائب ومما علق بها من مساوئ، والثاني: جلب بعض المصالح التي فيها نماء لهذه النفس(5).

ومن هنا فإن التزكية تدلّ على معنى تأكيد الصفات الحسنة في الإنسان، ونفي سائر الصفات الخبيثة عنه، وهذه التزكية كثيراً ما تترافق مع الاجتباء، فإن الله سبحانه وتعالى لا يزكي أحداً حتى يجتبيه، ولا يجتبيه إلا بعد تزكيته، فهما متلازمان، ومن هنا سيتحدث عنهما الباحث معاً ضمن هذا المبحث.

ويدل مصطلح التزكية على النماء والتطهير، كما يدل على معنى وصف النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأصحابه بصفات يزكيهم بها عند الله تعالى، ويطهرهم بها، وهو ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(6)(سورة التوبة، آية: 103).

---

(1) انظر: التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج: 1، ص: 907.

(2) الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 4، ص: 60.

(3) ابن عادل الحنبلي. الباب في علوم الكتاب، ج: 2، ص: 494.

(4) النيسابوري. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج: 1، ص: 404.

(5) الشعراوي. تفسير الشعراوي، ج: 2، ص: 2304.

(6) .

3.4.3.3 من هم الذين يجتبيهم الله ويزكيهم:

بيّن المناوي سابقاً أن الله يجتبي الرسل والأنبياء والشهداء، بغير جهد منهم أو اختيار، فالاجتباء على هذا من الله سبحانه وتعالى لأهل النبوة والرسالة والشهادة والتصديق(1).

ولا شك أن مسألة الاجتباء في بداية الأمر تكون للمؤمنين دون الكافرين والمشركين، فإن الله سبحانه وتعالى يصطفي لعباده المؤمنين من الخيرات والرحمة ما لا يصطفيه لغيرهم من الكافرين والمشركين، وذلك أنه سبحانه وتعالى لا يعامل أهل الكفر والشرك كما يعامل أهل الإيمان، وهذا الاصطفاء لأهل الإيمان يكون ببعض الأمور التي يمنحها إياهم سبحانه وتعالى، أما سائر الرحمة والخير والبركة التي يمنحها سبحانه وتعالى لكافة الناس فإن المؤمنين يستوون مع الكافرين في ذلك، يعني هذا أن الاجتباء في بداية الأمر يكون لأهل الإيمان مقارنة بأهل الكفر والعصيان(2).

وقد يكون الاجتباء بمعنى الهداية والاختيار من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين على الكافرين، فإن الله يهدي إلى دينه من يشاء من غير بذل جهد من المؤمن نفسه، وإنما يجتبيه الله سبحانه وتعالى رحمة وهداية منه لمن يشاء من الناس(3).

وكما أن الاجتباء في بداية الأمر يكون للمؤمنين على الكافرين، فإن التزكية تكون للمؤمنين أيضاً، فقد يزكي الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ من حوله من المؤمنين، ويصفهم بصفات تطهّرهم وتنزههم عن الصفات القبيحة التي لا تليق بأهل الإيمان، فهذا معنى تزكية الرسول لأهل الإيمان من أمته، وبعد أن يحصل الاجتباء الإلهي للمؤمنين دون سائر الخلق من الكافرين فإن الله سبحانه وتعالى يجتبي من بين المؤمنين أنفسهم أناساً يجعلهم أنبياء ورسلاً على الناس، فإن مفهوم الاجتباء ومفهوم الرسالة متلازمان، فالله سبحانه وتعالى لا يرسل رسولاً إلا من بعد

([1]) المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 38.

([2])الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (2005م). تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 9، ص: 112،

([3]) انظر: الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 4، ص: 46.

أن يجتبيه ويصطفيه من خلقه، ويمنحه رسالته، ويجعله مفضلاً على سائر الناس، فلا يمكن أن يبعث سبحانه وتعالى رسولاً دون أن يجتبيه من قبل ذلك(1).

وهذا المعنى هو المقصود في قوله سبحانه وتعالى على لسان يعقوب ــ عليه السلام ــ : ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة يوسف، آية: 6).

بيّن يعقوب عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى يجتبي إليه يوسف ــ عليه السلام ــ من بين إخوته نبياً شأنه في ذلك شأن أبيه وسائر الأنبياء من عائلته ــ إسماعيل وإسحاق وإبراهيم ــ فإنه سبحانه وتعالى يختار ويصطفي إليه من يشاء من عباده، فالمقصود بالاجتباء هاهنا اجتباء النبوة(2).

إذن فإن الله سبحانه وتعالى يجتبي إليه المؤمنين دون الكافرين، ويزكيهم، ثم إنه يجتبي من المؤمنين أنفسهم أنبياء، ورسلاً، وصالحين، وشهداء، فالاجتباء يكون على قسمين: قسم للمؤمنين عموماً دون سائر الخلق، وقسم: للأنبياء والرسل والشهداء والصديقين دون سائر المؤمنين، وهذا الاجتباء لا يكون بفضل عمل، أو باكتساب فضل، وإنما هو بمشيئة الله سبحانه وتعالى الذي يجتبي إليه من يشاء.

4.4.3.3 الآيات القرآنية التي تربط بين المشيئة الإلهية والاجتباء والتزكية:

ربطت مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة بين الاجتباء والتزكية والمشيئة الإلهية في ذلك، وفيما يلي سيتحدث الباحث عن تلك المواضع القرآنية الكريمة، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة آل عمران، آية: 179).

---

(1) الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 2، ص: 399.

(2) الثعالبي. الجواهر الحسان، ج: 3، ص: 311.

ربطت الآية الكريمة بين المشيئة الإلهية والاجتباء الإلهي للرسل من بين سائر الخلق، فإن مسألة اجتباء الرسل تتعلق بمشيئته سبحانه وتعالى، فإن الله بمشيئته يختار الأنبياء، ويصطفي إليه منهم من يريد، فالمشيئة الإلهية هاهنا ارتبطت بالاجتباء، وارتبط الاجتباء باجتباء الأنبياء والرسل من بين سائر الخلق(1).

وسياق الآية الكريمة يتحدث عن الاطلاع على الغيب، فإن معنى الاجتباء هاهنا مرتبط بسياق الآية الكريمة، فإنه سبحانه وتعالى يبين أنه لا يطلع أحداً على الغيب سوى من اجتبى من الرسل بعلمه سبحانه وتعالى، ومشيئته، وقيل إنه لا يطلع أحداً على الغيب إلا من اجتبى من الأنبياء فإنه يطلعهم على ما يشاء من أمور الغيب، فالاجتباء هاهنا اجتباء متعلق بالاطلاع على الغيب وفق مشيئته سبحانه وتعالى(2).

ربطت الآية الكريمة بين فكرة الاجتباء الإلهي والمشيئة الإلهية، فإن اجتباءه سبحانه وتعالى متعلق بمشيئته، فإذا اجتبى أحداً من خلقه فإن هذا الاجتباء يكون وفقاً لمشيئته سبحانه وتعالى، وبناء على هذا الاجتباء يعطي الله سبحانه وتعالى أنبياءه المجتبين ما يشاء من أمور الغيب، أو من أمور الرسالة، فالمشيئة الإلهية شاملة لكافة أشكال هذا الاجتباء منذ اجتبائه سبحانه وتعالى لأنبيائه حتى منحهم ما يريد سبحانه وتعالى وفقاً لمشيئته.

وفي موضع آخر يتحدث فيه سبحانه وتعالى عن أمر تزكيته لبعض عباده، فيقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (سورة النساء، آية: 49).

إن تزكية النفوس أمر عائد إلى الله سبحانه وتعالى وخاضع لمشيئته، فمهما بدر من البشر من تزكية لأنفسهم أو لأحد من الخلق فلا يعتدّ بهذه التزكية ما لم تكن من الله سبحانه وتعالى وفقاً لمشيئته، فهو سبحانه وحده المتصرف بهذا الأمر، ولا

---

(1) ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 546.

(2) الجوزي. زاد المسير، ج: 1، ص: 352.

سبيل لأحد من البشر إلى تزكية نفسه أو تزكية غيره ما لم تكن تلك التزكية متوافقة مع مشيئته سبحانه وتعالى(1).

ويدخل في تزكية النفس هاهنا كل من رأى من نفسه خيراً، ورأى أنه زكي الطاعة والعمل، فإن هذه النظرة من العبد لا يعتدّ بها ما لم تكن التزكية من الله سبحانه وتعالى، ومن هنا جاء النهي الإلهي في خاتمة الآية الكريمة ينهى فيه المؤمنين عن تزكية أنفسهم، ويبين لهم سبحانه أن أمر التزكية هذا راجع إليه سبحانه، وخاضع لمشيئته(2).

ومن الذين كانو يزكون أنفسهم ويرون فيها الخير اليهود، فإنهم قالوا: إنهم أبناء الله وأحباؤه، فهذه تزكية لأنفسهم من أنفسهم، ورأوا أنهم كالأطفال لا يكتب عليهم ذنب، فبيّن سبحانه وتعالى أن أمر التزكية هذا عائد إليه، لأنه وحده العالم بكمائن النفوس، وما تخفيه الصدور، فهو القادر سبحانه على أن يعرف ما في نفوس العالمين، وهو وحده القادر على أن يزكي من يشاء، ويرفع درجات من يشاء(3).

بيّنت الآية الكريمة أن أمر التزكية لا يرتبط بالبشر، بل هو مرتبط بمشيئته سبحانه وتعالى، فإنه سبحانه المطلع على خفايا النفوس، العالم بما تخفيه الصدور، وهو بناء على هذا قادر على معرفة الخبيث من الطيب، فيزكي الطيب، ويُذهب الخبيث، فإن مشيئته سبحانه تقتضي أن يزكي من يستحق التزكية، ولا عبرة في ظن الإنسان بأنه خير، ولا عبرة في ظنون الناس بأنهم خير، وإنما العبرة في مكانة ذلك الإنسان عند الله سبحانه وتعالى.

وقد يكون أمر الاجتباء غير مصرح به في نص الآية الكريمة، ولكن سياق الآية يدل على معنى الاجتباء، وذلك نحو أن يأتي السياق القرآني دالاً على معنى إنزال الملائكة على الأنبياء، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (سورة النحل، آية: 2).

---

[1]. البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 2، ص: 78.

([2]) النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 364.

([3]) الأنجري. البحر المديد، ج: 1، ص: 512.

إذ تدلّ الآية الكريمة على أن الله سبحانه وتعالى يختار من رسله من يشاء من عباده، فينزل عليهم الملائكة بالوحي، وهذا ما يدل على اجتبائه سبحانه وتعالى لبعض عباده دون بعضهم الآخر(1).

فالمشيئة الإلهية التي وردت في هذه الآية الكريمة مرتبطة بأمر الاجتباء والاصطفاء منه سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده كي يكون رسولاً من عنده سبحانه وتعالى لينذر الناس، والمقصود بإنزال الملائكة هاهنا إرسال الوحي إليهم، وتبليغهم أمر رسالات رب العالمين كي يبلّغوها للناس، فأمر الاجتباء هاهنا متعلق بالنبوة، كما أن أمر المشيئة متعلق بالاجتباء منه سبحانه وتعالى(2).

لم يرد في الآية الكريمة لفظ الاجتباء صريحاً، غير أن نص الآية الكريمة وسياقها يدلّ على معنى الاجتباء الإلتهي وفق مشيئته سبحانه وتعالى لبعض خلقه كي يكون نبياً ورسولاً يتلقى رسالة السماء من خلال الوحي الكريم، والسياق حين يدل على هذا المعنى فإنه يدخل هذه الآية الكريمة ضمن إطار الاجتباء والمشيئة الإلهية، فلولا اجتباء الله سبحانه وتعالى لبعض الخلق لما كانوا رسلاً وأنبياء، ولولا مشيئته سبحانه وتعالى لما كان هذا الاجتباء، فالمشيئة هي التي حققت أمر الاجتباء والاصطفاء منه سبحانه وتعالى، ووفق هذا الاجتباء والاصطفاء أنزل سبحانه وتعالى الوحي على من اجتبى من الرسل والأنبياء.

وارتبطت المشيئة الإلهية بالوحي في موضع آخر من كتابه سبحانه وتعالى، وذلك في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (سورة الشورى، آية: 51).

فإن الله سبحانه وتعالى يختار من عباده من يشاء كي يبلغوا أمر رسالته، فيكون اختياره لهم بناء على الاجتباء الرباني، ثم إنه سبحانه وتعالى يفعل ما يريد، غير أن مشيئته اقتضت أن يكون الوحي من خلال ملك، أو من وراء حجاب، وليس المقصود بالحجاب أن يكون حائلاً بين الرسول والله سبحانه وتعالى، فقد تعالى

([1]) البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 3، ص: 219.

([2]) الخازن. لباب التأويل، ج: 3، ص: 66 ــ 67.

سبحانه أن يحده حجاب، فهذه من سمات المخلوقين، غير أن المعنى أن يكون محجوباً سبحانه عن الرسول، وليس الأمر على وجود حجاب بينهما(1).

وهناك عدد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن المعنى نفسه من حيث الاجتباء والتزكية لا تختلف كثيراً عن الآيات التي ذُكرت، لذا فإن الباحث يشير إليها إشارة، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور، آية: 21).

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (سورة غافر، آية: 15).

وقوله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (سورة الشورى، آية: 13).

بيّنت الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يهدي إليه من يشاء ويجتبي من عباده من يشاء للإيمان، فقد كبُر على المشركين ما يُدعون إليه من أمر الدين القيم الحنيف، ولا سبيل لهدايتهم إلا باجتباء الله سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده، فإن الإنسان لا يهدي من يريد، وإنما الله سبحانه وتعالى يجتبي إلى دينه من يريد من عباده(2).

ومن خلال ما سبق يتبين للباحث ما يلي:

أولاً: إن الاجتباء ينقسم وفق المشيئة الإلهية إلى قسمين: الأول: اجتباء عام، وهو يختصّ بعموم المؤمنين الذين اجتباهم الله سبحانه وتعالى وفق مشيئته على سائر خلقه الكافرين، والثاني: اجتباء خاص، وهو متعلق بالأنبياء والرسل، والشهداء والصدّيقين، وهذا اجتباء خاص لبعض المؤمنين دون بعضهم الآخر.

---

(1) القشيري. لطائف الإشارات، ج: 3، ص: 359 ــ 360.

(2) النسفي. مدارك التنزيل، ج: 3، ص: 248.

ثانياً: إن الاجتباء والاصطفاء لا يكون بفضل عمل يعمله الإنسان، ولا بكسب يكسبه، فالاجتباء الإلهي منحة ربانية وفق مشيئته سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده دون جهد منهم أو اكتساب.

4.3 المشيئة وخلق الله تعالى وما يفعله:

يتناول هذا المبحث الحديث عن علاقة المشيئة الإلهية بخلق الله سبحانه وتعالى وما يفعله سبحانه في تصريف الأمور بين عباده، وذلك وفق ما يلي:

1 . مفهوم أفعاله سبحانه وتعالى وربطها بالصفات.

2 . الآيات القرآنية التي تشير إلى المشيئة الإلهية وما يفعله سبحانه وتعالى.

1.4.3 مفهوم أفعاله سبحانه وتعالى:

يشير هذا المفهوم إلى تلك الأفعال التي تجري من الله سبحانه وتعالى على عباده، منها ما يكون على سبيل التعجيز الخارق للعادة، غير القابل للمعارضة من البشر، فهي خاصة به سبحانه وتعالى ولا يمكن لأحد أن يعارضه فيها، أو يماثلها، فهي أفعال خاصة به سبحانه، لا يقدر عليها غيره(1).

ومن ناحية أخرى فإن أفعال العباد توصف بالحسنة والسيئة، فما كان حسناً فهو حسن، وما كان قبيحاً فهو سيء، ولكن أفعال الله سبحانه وتعالى لا توصف بالحسن ولا بالسوء، فهي خارجة عن إطار أفعال العباد بكل وصفها، فهي لا توصف بهذا ولا بهذا(2).

وأفعاله سبحانه وتعالى تسير وفق سنته سبحانه في خلقه منذ القدم وحتى الأزل، تلك السنة التي تقتضي أن أفعاله سبحانه تقوم على العدل والرحمة للناس أجمعين،

([1]) السيوطي. معجم مقاليد العلوم، ص: 74.

([2]) التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج: 1، ص: 666.

كما تقتضي سنته سبحانه وتعالى أن ينصر عباده الصالحين، ويظهر دين الحق على الأديان كلها ولو كره الكافرون(1).

ولا يمكن لأي مخلوق أن يحيط بأفعاله سبحانه وتعالى، وأن يعلم ما فيها من حكم بالغة، وخير مقدر، فإن الإنسان أحقر من الإحاطة بكافة غايات الأفعال الإلهية، ولكن عليه أن يكون واثق الإيمان بأن أفعاله سبحانه وتعالى لا تكون إلا بمقتضى حكمة، ولأجل غاية فيها الخير والنفع للناس أجمعين، فإن هذه سمة أفعاله سبحانه وتعالى، ولا يُشترط بالإنسان أن يحيط بكافة غايات أفعاله سبحانه وتعالى وحكمها(2).

والحديث عن أفعاله سبحانه وتعالى يطول، ولا سبيل إلى حصره، ولكن غاية هذه الدراسة تقديم مفهوم عام لأفعال الله سبحانه وتعالى، فأفعاله سبحانه هي ما اقتضته سنته في خلقه، وما يكون من تقديراته سبحانه وتعالى في خلقه، وما تجري عليه مقادير الأمور بالعدل والحق والرحمة في مخلوقاته، وهي لا تعلل، ولا توصف بالحسن أو بالسوء، ولا يمكن الإحاطة بكافة حكمها وغاياتها، والمؤمن يؤمن بها جميعها على أن فيها الخير والحكمة والمنفعة، ولو لم تكن تلك المنفعة والخيرية ظاهرة للعيان.

2.4.3 **الآيات القرآنية التي تشير إلى المشيئة الإلهية وما يفعله سبحانه وتعالى**:

يرد في كتاب الله سبحانه وتعالى عدد من الآيات التي تربط مشيئته سبحانه وتعالى ببعض أفعاله في خلقه، وهي كما يلي:

([1])الفراهي، عبد الحميد (2002م). مفردات القرآن نظراتجديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ص: 196.

([2])ابن الوزير، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن علي (1987م). إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثانية، ص: 344.

يقول سبحانه وتعالى متحدثاً عن خلق الإنسان في رحم أمه: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة آل عمران، آية: 6).

بيّنت الآية القرآنية الكريمة أن تصوير الإنسان في رحم أمه ما هو إلا بأمر الله تعالى، ووفقاً لمشيئته سبحانه وتعالى، فالله يصور الناس في أرحام أمهاتهم كيف يشاء، وليس لأحد أن يتدخّل في هذا التصوير الإلهي الخاضع للمشيئة الإلهية(1).

وأتت هذه الآية الكريمة في إطار الحديث عن علمه سبحانه وتعالى بكل شيء، فإنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن هنا فإنه خلق عباده في أرحام أمهاتهم كي يكونوا عباداً له، وليس لأحد فضل علم بالغيب إلا بمشيئته سبحانه وتعالى، فإنه خلق الجميع وصورهم في بطون أمهاتهم كما اقتضت مشيئته سبحانه وتعالى(2).

جاءت هذه الآية الكريمة مستأنفة لبيان إحاطة علمه سبحانه وتعالى بكل شيء في هذه الحياة الدنيا، وأن من جملة علمه سبحانه وتعالى أنه يحيط بعلم ما لا يعلمه الآخرون من عباده، فهو عالم بكل الأشياء التي تخفى على الناس، ومن علمه أيضاً أنه يعلم سبحانه من الأشياء ما لا يدخل تحت الوجود، كالتصوير في الأرحام، فإنه سبحانه وتعالى يعلم تصوير الناس في أرحام أمهاتهم، فيجعل منهم الأسود والأبيض، والطويل والقصير، وغير ذلك من الصور والهيئات، كل هذا لا يكون إلا بعلمه سبحانه وتعالى ومشيئته(3).

ربطت الآية الكريمة بين المشيئة الإلهية وقدرته سبحانه وتعالى على معرفة كل ما يجري في هذا الكون من غيبيات لا يعلمها أحد من خلقه، وهو تصوير الأجنة في أرحام أمهاتهم، فإن الله سبحانه وتعالى يعلم من ذلك ما لا يعلمه غيره، إذ هو المتصرف في هذا التصوير، يخلق ما يشاء، ويصور كيف يشاء، وهذا التصوير

([1]) القشيري. لطائف الإشارات، ج: 1، ص: 220.

([2]) الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 336 ــ 337.

([3]) الشوكاني. فتح القدير، ج: 1، ص: 359.

الكائن في الأرحام مرتبط بمشيئته سبحانه وتعالى، فإنه سبحانه يخلق ما يشاء، ويصور في الأرحام كيف يشاء، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة آل عمران، آية: 40).

ارتبطت المشيئة الإلهية في هذه الآية الكريمة بما يريده الله سبحانه وتعالى، فإنه سبحانه قادر وفق مشيئته أن يفعل ما يريد، وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يفعل شيئاً فلا رادّ لمشيئته سبحانه، فهو القادر على أن يفعل كل شيء بمشيئته سبحانه وتعالى(1).

إن قوله سبحانه: كذلك الله يفعل ما يشاء" تخصيص لله سبحانه وتعالى بأنه قادر على فعل كل شيء يريده، حتى وإن كان ذلك الشيء خارقاً للعادة، فإنه سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء، فمهما كان ذلك الشيء صعباً أو مستحيلاً فإن الله سبحانه وتعالى قادر على فعله، فمشيئته سبحانه وتعالى هي التي تتحكّم بهذه الأمور، فما يريده الله سبحانه وتعالى يفعله، وليس هناك ما يعجزه(2).

ارتبطت المشيئة الإلهية في هذه الآية الكريمة بقصة زكريا عليه السلام حين تعجب من مجيء الولد له بعد أن شاخ وكبر في السن، وامرأته عاقر، فبيّن سبحانه وتعالى أن هذا الأمر لا يعجزه، وأنه إذا شاء شيئاً يفعله، فهو يفعل ما يشاء من هذه الأمور الخارقة العجيبة التي تُستبعد في حدوثها، ويراها الإنسان بعيدة، غير أنها في إرادة الله ومشيئته ليست شيئاً، وتحدث بأمره سبحانه وتعالى(3).

ارتبطت المشيئة الإلهية في الآية الكريمة بواحد من الأفعال التي هي من أمر الله تعالى ومشيئته، ولا يقدر أحد من الخلق أن يفعلها، وذلك ما كان من أمر الولد، فإن زكريا ــ عليه السلام ــ قد تعجب من ولادة الولد له بعد أن بلغ من الكبر عتياً، وكانت امرأته عاقراً، فكيف سيولد له الولد مع كل هذه الأمور الصعبة، غير أنه

([1]) انظر: البغوي. معالم التنزيل، ج: 1، ص: 437.

([2]) الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 8، ص: 215.

([3]) البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 2، ص: 15 ــ 16.

سبحانه وتعالى بيّن له أن ذلك بمشيئته، وأنه سبحانه قادر على فعل كل شيء مُعجز، فإن مشيئته تفوق كل شيء، ولا يعجزه سبحانه وتعالى أمر، سواء أكان متعلقاً بالولد أم بغير ذلك من الأفعال المعجزة.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة آل عمران، آية: 47).

تبين الآية القرآنية الكريمة قدرة الله سبحانه وتعالى ومشيئته في تصريف الأمور في هذه الحياة، فقد تعجبت مريم عليها السلام من ولادة الولد لها بدون أب، فجاءت الآية الكريمة لتبين أن الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء، وأنه قادر على فعل كل شيء، ومن هنا فإنه قدر أن يولد لها عيسى ـــ عليه السلام ـــ بلا أب، وهذا من مشيئته سبحانه، فهو يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد(1).

وهناك تشابه بين لفظ هذه الآية الكريمة ولفظ الآية السابقة في قصة زكريا ـــ عليه السلام ـــ ولكن الاختلاف أن زكريا قال له سبحانه وتعالى: يفعل ما يشاء، أما مع مريم فقد قال: يخلق ما يشاء، وذلك أن ما حصل مع زكريا ـــ عليه السلام ـــ مقبول في العادة والعرف، فما كان من ولادة الولد له مع كبره وكبر امرأته وكانت عاقراً إلا أن أمر ولادة الولد له مقبول في العقل، لذا قال يفعل، لأن له نظير في الحاية من حولنا، أما مع قصة مريم ـــ عليها السلام ـــ قال: يخلق، لأن أمرها يقترب من الخلق والإيجاد والإبداع أكثر من الفعل في قصة زكريا ـــ عليه السلام ـــ لذا قال سبحانه "يخلق ما يشاء" أي أنه قادر على أن يخترع ما يشاء، ويوجد من العدم ما يريد(2).

ربطت الآية الكريمة بين المشيئة الإلهية وأمر خلق عيسى ـــ عليه السلام ـــ وهو أمر معجز لا أحد يقدر عليه، فهو قد خلق عيسى ـــ عليه السلام ـــ من غير أب، وكان خلقه آية للناس أجمعين، وبين سبحانه وتعالى أن أمر هذا الخلق والإيجاد

([1]) السمعاني. تفسير القرآن، ج: 1، ص: 320.

([2]) ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 437.

من العدم مرتبط بالمشيئة الإلهية، فهو سبحانه وتعالى إذا شاء شيئاً لا رادّ له، وهو القادر على خلق أي شيء مهما بلغ من الإعجاز والإبداع.

إن الموضعين السابقين يتناولان موضوعاً واحداً وهو أمر ولادة الولد للإنسان على غير حال الولد، فمع زكريا عليه السلام كان عجوزاً، وكانت امرأته عجوزاً أيضاً، وكانت عاقراً، ومع مريم ــ عليها السلام ــ كانت بكراً ليست متزوجة، ورغم هذا وذاك فإن الله سبحانه قد قدّر الولد، فالأمر المشترك بين الحالين مرتبط بولادة الولد على غير الطبيعة، فمن هنا بيّنت الآيتان الكريمتان أمر المشيئة الإلهية في ذلك، إذ لولا مشيئته سبحانه وتعالى لم يحصل هذا الحمل ولا تلك الولادة.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة المائدة، آية: 17).

يأتي الحديث عن المشيئة الإلهية في خلقه سبحانه وتعالى ضمن هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عما كان من أمر بني إسرائيل وادعائهم أن عيسى ــ عليه السلام ــ هو الله، فبيّنت الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الموجودات كلها، وأنه هو القادر على إهلاك من يشاء، كما أنه القادر على خلق ما يشاء، فالأمر كله راجع إليه، فكيف يمكن القول بأن عيسى ــ عليه السلام ــ هو الله والله خالقه، وهو القادر على إهلاكه، هذه هي الحجة الإلهية التي ظهرت في هذه الآية الكريمة على وجه التقريع لبني إسرائيل، وبيّن سبحانه وتعالى أنه قادر على كل شيء، وأنه خالق كل شيء(1).

إن مناط التنبيه على المشيئة الإلهية في هذه الآية الكريمة مرتبط بحال بني إسرائيل ووصفهم أن عيسى ــ عليه السلام ــ إله، فكان من الضروري التنبيه على أمر المشيئة الإلهية في هذه الحالة، وذلك لبيان أن كل شيء عائد إلى مشيئته سبحانه وتعالى، فهو مالك كل شيء في الأرض والسماء، وهو القادر على أن يخلق ذكراً

---

(1) انظر: الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، ج: 1، ص: 306.

من أنثى كعيسى عليه السلام، وأنثى من ذكر كحواء، ومن غير أب وأم كآدم عليه السلام، ومن غير شيء كالطير على يد عيسى ــ عليه السلام ــ فهو مالك كل شيء، وهو القادر على فعل أي شيء، ولا يُتعجب من فعله، ولا اعتراض عليه لأنه الفعال لما يريد(1).

بيّنت الآية القرآنية الكريمة أمراً مهماً متعلقاً في ألوهيته سبحانه وتعالى، فإن وقوع أي حدث في هذه الدنيا بأمره، وحصول أي معجزة في الكون بمشيئته، لذا يجب على المؤمن أن يثق بأن هذه المعجزات والخوارق إنما تحصل بأمر الله تعالى، ومثل عيسى مثل سائر المعجزات الكونية الأخرى، وُلد بأمر الله، فمن هنا لا يجوز وصفه بصفات الإله، لأن الله سبحانه وتعالى هو من أوجده، وهو سبحانه من خلقه، وهو القادر على أن يميته ويهلكه، فأمر المشيئة الإلهية هاهنا مرتبط بهذا الأمر المتعلق بخلق عيسى ــ عليه السلام ــ وبيان أن خلقه ما كان إلا بأمر الله تعالى، ووفقاً لمشيئته سبحانه، وهو القادر على فعل كل شيء وفقاً لهذه المشيئة الإلهية.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة الحج، آية: 18).

تربط هذه الآية الكريمة أفعال الله سبحانه وتعالى بمشيئته، فلا يكون فعل في هذه الدنيا لله عز وجل إلا بمشيئته، فهو يفعل ما تقتضيه مشيئته سبحانه وتعالى، ولقد سُبقت جملة "يفعل ما يشاء" بالحديث عن الإكرام والإهانة، فإنه سبحانه وتعالى يُكرم من يريد ويشاء، ويهين من يريد ويشاء، أي أن أمر الإكرام والإهانة بمشيئته، وأمر الإسعاد والشقاوة بمشيئته أيضاً سبحانه وتعالى(2).

ويرتبط أمر الإهانة والإكرام بالإيمان والكفر، فإن من يكفر بآيات الله يبقى مهاناً طوال حياته، وليس له من يكرمه، وأما من يؤمن بالله تعالى فإن الله سبحانه يُكرمه، ولا يجد من يهينه، وهذا الإكرام والإهانة بمشيئة الله عز وجل، وتقع بناء

(1) النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 437.

(2) البغوي. معالم التنزيل، ج: 3، ص: 328.

على أعمال الخلق واعتقاداتهم، فإن مشيئته سبحانه وتعالى اقتضت بإكرام أهل الإيمان الذين يعملون الصالحات، وكذلك اقتضت بإهانة أهل الكفر الذين يعملون السيئات(1).

ارتبطت المشيئة الإلهية في هذه الآية الكريمة بإكرام الله سبحانه وتعالى للمؤمنين، وإهانته للكافرين، فإن أمر الإكرام والإهانة مرتبطان بمشيئته سبحانه وتعالى، فهو المتصرّف بهذه الأمور، فمن عمل الصالحات، وآمن بالله تعالى، فإن المشيئة الإلهية تقتضي بإكرامه، ومن كفر، وعمل من السيئات، فإن المشيئة الإلهية تقتضي بإهانته، ومن يهن الله فما له من مكرم.

ويرد في كتاب الله سبحانه وتعالى عدد من الآيات التي تتحدث عن مشيئته سبحانه وتعالى في خلقه وأفعاله، وهي قريبة من المواضع السابقة، لذا فإن الباحث لن يفصل الحديث فيها، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة إبراهيم آية: 27).

تربط هذه الآية الكريمة بين المشيئة الإلهية وما يفعله الله سبحانه وتعالى من تثبيت المؤمنين بالقول الثابت في الدنيا والآخرة، وإضلال الكافرين ومن ثم إدخالهم في نار جهنم، فإن كل هذا من أفعاله سبحانه وتعالى ووفقاً لمشيئته(2).

وفي قوله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة النور، آية: 45).

اشتملت الآية الكريمة على حديث عن مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وبيّنت أنه سبحانه وتعالى خلق كل الدواب بكافة أحوالها، وطريق عيشها ومشيها، على رجلين وأربع، وزحفاً وغير ذلك من أحوال دواب الحياة الدنيا، فإن جميع هذه

(1) أبو حيان. البحر المحيط، ج: 7، ص: 495.

(2) انظر: الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 5، ص: 318.

المخلوقات خُلقت بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه هو الخالق لكل شيء، وأنه على كل شيء قدير، فمشيئته سبحانه وتعالى هي التي تقتضي الخلق كله(1).

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة القصص، آية: 68).

تبين هذه الآية الكريمة أن أمر الاختيار في أفعاله سبحانه وتعالى عائد إلى مشيئته سبحانه وتعالى، وأنه ليس لأحد أن يختار عليه سبحانه، فهو الذي يتخير الأمور والأفعال التي فيها صالح الناس أجمعين، ويختار الأمور والأفعال وفق حكمة يقتضيها، وليس لأحد أن يختار على اختياره سبحانه وتعالى(2).

وقيل نزلت هذه الآية في قول الوليد بن المغيرة: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، فجاءت هذه الآية الكريمة لتبين أن أمر المشيئة الإلهية هو المقتضي لأفعاله سبحانه وتعالى، وهو سبحانه وتعالى الأعلم بمصالح الناس من أنفسهم، لذا فإن أمر الخيرة منوط بمشيئته سبحانه وتعالى، وليس لأحد أن يختار على اختياره سبحانه وتعالى(3).

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (سورة الروم، آية: 54).

لما كان الحديث في هذه الآية الكريمة عن خلق الإنسان من الضعف ثم من القوة ثم من الضعف حسُن أن تُختتم بالحديث عن مشيئته سبحانه وتعالى المرتبطة

([1]) الجوزي. زاد المسير، ج: 3، ص: 301.

([2]) الزمخشري. الكشاف، ج: 3، ص: 427.

([3]) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (1992م). أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام – السعودية، الطبعة الثانية، ص: 339.

بقدرته، وخلقه، فإنه سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق ما يشاء من الضعف والقوة، فهو القادر على ذلك وفقاً لمشيئته سبحانه وتعالى(1).

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة فاطر، آية: 1).

بيّنت الآية الكريمة أن أمر المشيئة الإلهية متعلق بزيادة الخلق، وذلك تقرير لما يقع في النفوس من التعجب من أمر خلقة الملائكة وأنهم أولي أجنحة، فجاءت هذه الآية الكريمة لتبين أن أمر الخلق بيد الله سبحانه وتعالى، وأنه قادر على أن يخلق ما يشاء، ويزيد في خلقه ما يشاء، وفي هذه الزيادة قيل الأجنحة، وقيل: حسن الصوت(2)، ولكن ما يهمنا هاهنا ارتباط المشيئة الإلهية بخلق الملائكة ومشيئته سبحانه وتعالى في زيادة الخلق كما يشاء.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (سورة الزمر، آية: 4).

بيّنت الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى لو أراد أن يجعل لنفسه ولداً لاصطفى من خلقه من يريد، وليس الأمر عائداً إلى اختيار البشر، بل هو أمر عائد إليه سبحانه وتعالى، فهو صاحب المشيئة في الاختيار، غير أنه سبحانه وتعالى نزّه نفسه عن الولد بقوله: الواحد القهار، فليس له ولد، ولا يتخذ ولداً سبحانه وتعالى عما يقولون(3).

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (سورة الشورى، آية: 49).

ارتبطت المشيئة الإلهية في هذه الآية بما يفعله الله سبحانه وتعالى في خلقه من إعطاء من يشاء الذكور، وإعطاء من يشاء الإناث، ويجعل من يشاء عقيماً، ويفعل

---

(1) البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 4، ص: 210.

(2) ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 4، ص: 429.

(3) النسفي. مدارك التنزيل، ج: 3، ص: 169.

ما يريد، وليس لأحد أمر التصرف بمشيئته سبحانه وتعالى، فهو أولى بعباده من عباده(1).

ومن خلال ما سبق يتبين للباحث أن الله سبحانه وتعالى قد بيّن للناس في آيات كتابه العزيز أنه هو المتصرف بأحوال عباده، وأنه هو المتصرف بالخلق كيف يشاء، وأن مشيئته سبحانه وتعالى هي المقتضية لأفعاله، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو العالم بمقادير الأمور، والقادر على أن يهيء لعباده ما فيه صلاح أمرهم، وخير عاقبتهم، وليس لأحد أن يختار على خيرته سبحانه وتعالى.

5.3 **المشيئة الإلهية والنصر**:

يرد في كتاب الله عز وجل عدد من الآيات القرآنية التي تربط بين المشيئة الإلهية وإرادته سبحانه وتعالى بالنصر، وأسباب النصر، وسينصب الحديث في هذا المبحث حول المشيئة الإلهية في آيات النصر.

1.5.3 **المشيئة الإلهية في آيات النصر**:

ولما أوضح القرآن الكريم أن النصر من عند الله سبحانه وتعالى، كان لا بد من القول بأن النصر ما دام من عنده سبحانه وتعالى فإنه دون شك بإرادته ومشيئته، فمن يشأ الله له النصر فلا يُردّ، ومن يشأ له الله الهزيمة فلا تُردّ هي أيضاً، ومن هنا فقد ربطت الآيات القرآنية الكريمة في عدد من المواضع بين المشيئة الإلهية والنصر، وذلك كما يلي:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ (سورة آل عمران، آية: 13).

---

(1) البغوي. معالم التنزيل، ج: 3، ص: 359.

بيّنت الآية الكريمة أن أمر النصر مرتبط بالمشيئة الإلهية، فإن الله سبحانه وتعالى ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، وجرت سنته سبحانه وتعالى أن ينصر عباده المؤمنين، ويخذل الكفرة والمشركين(1).

إن الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة ينسب النصر إلى ذاته الكريمة، فإن النصر نصر الله، وإن النصر يكون بأمر الله ومشيئته، لذا لن ينفع المشركين عددهم ولا عدتهم في مقابل المسلمين المنصورين من الله سبحانه وتعالى، فقد أيدهم سبحانه بنصره الكريم، وذلك وفقاً لمشيئته(2).

والتأييد من الله سبحانه وتعالى في النصر يختص بجانب التمكين والتقوية، فإن من يؤيده الله سبحانه وتعالى بالنصر يكون قوياً، وأكثر تمكيناً بالنسبة للقتال، لذا فإنه سبحانه وتعالى بيّن أن هذا التأييد منه لمن يشاء من عباده، وأمر النصر يختص أيضاً بجانب النصرة، فإن نصرة الله سبحانه وتعالى لعباده هي التي تؤدي إلى انتصارهم على أعدائهم(3).

إن الله سبحانه وتعالى لما نسب النصر إلى نفسه ناسب ذلك أن تكون مشيئته الربانية هي المتحكمة بأمر هذا النصر، فإنه سبحانه يؤيد بنصره من يشاء من عباده، ولا يكتب النصر إلا لمن يريد، فليست العبرة بالعدد والعدة، وليست العبرة بالقوة، وإنما العبرة بتأييد الله سبحانه وتعالى لمن يشاء.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الروم، آية: 5).

والمقصود بنصر الله هاهنا النصر الذي وقع للروم على الفرس في عهد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولكن كيف كان النصر ينصر به الله من يشاء؟ وكيف يفرح المؤمنون بهذا النصر؟ قيل لأنه نصر لأهل الكتاب على المشركين، وهم أولى بالنصر منهم، وقيل المقصود أن الله سبحانه وتعالى يجعل أهل الكفر والضلالات يتقاتلون حتى يفني بعضهم بعضاً، ومن ثم تكون الغلبة للمسلمين، وقيل النصر نصر

(1) الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 1، ص: 417.

(2) الراغب الأصفهاني. تفسير الراغب الأصفهاني، ج: 2، ص: 447.

(3) الخازن. لباب التأويل، ج: 1، ص: 229.

للمسلمين على كفار مكة بأن صدقوا في ما جاؤوا به من أن الروم سينتصرون على الفرس في تلك المعركة(1).

تبيّن الآية الكريمة أن هذا النصر نصر الله سبحانه وتعالى، وأنه يؤيد به عباده المؤمنين دون غيرهم من الكافرين والمشركين، لأن عباده المؤمنين أحق بالنصر من المشركين الكفار(2).

والنصر هاهنا كان للروم على الفرس، وقد وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن ينتقم من الفرس في هذه المعركة، فينتصر عليهم الروم، فهذا هو نصر الله، أي انتقامه من الغالب تارة، وانتقامه من المغلوب تارة أخرى، فإن الأمر بيده سبحانه وتعالى، ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء(3).

ارتبطت الآية الكريمة بانتصار الروم على الفرس، وليس بين هؤلاء ولا هؤلاء مسلمين، غير أن الله سبحانه وتعالى قد قدّر أن يكون النصر للروم على الفرس، وذلك لأن الروم أهل كتاب، والفرس أهل شرك، ومن هنا أيدهم الله سبحانه وتعالى بنصره، وهذا النصر فيه فرحة للمؤمنين على أن هؤلاء أهل كتاب، ومن ناحية أخرى فإن الله سبحانه وتعالى بيّن بهذا النصر أن أمور الهزيمة والغلبة ترتبط بمشيئته سبحانه وتعالى، فهو القادر على أن ينصر قوماً، وأن يخذل آخرين، وهذا من سنته سبحانه وتعالى في خلقه، وهو المتصرف بهذه الأمور كلها.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (سورة محمد، آية: 4).

---

(1) الزمخشري. الكشاف، ج: 3، ص: 467.

(2) النسفي. مدارك التنزيل، ج: 2، ص: 690.

(3)الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (2004م). جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 292.

لو أراد الله سبحانه وتعالى لكان النصر حليف أهل الإيمان في مقابل أهل الشرك من غير قتال ولا حرب، ولكن الله سبحانه وتعالى ينصر عباده بأن يقوي مكانتهم عند أهل الشرك والكفر، كما أنه يقهر أعداءه بأضعف خلقه في بعض الأحيان، فمسألة نصر الله مرتبطة بمشيئته، ولو شاء سبحانه لأقام النصر للمؤمنين دون قتال، ولكن يريد ليمتحن أهل الإيمان بإيمانهم، ويبتلي أهل الكفر بكفرهم، حتى يبلغ أمر الله تعالى، فيعذب الكافرين والمشركين، وينصر المؤمنين أو يتخذ منهم شهداء(1).

تبيّن الآية السابقة أن الله سبحانه وتعالى قادر بمشيئته أن ينتصر من المشركين في مقابل أهل الإيمان والمسلمين، ولكنه سبحانه وتعالى يبقي هذا النصر حتى يمتحن الذين آمنوا، فيختار منهم الشهداء، ويعذب المشركين بالذين آمنوا، فهذه الآية الكريمة وإن اختصت بجانب النصر، فهي ترتبط أيضاً بجانب الصبر(2).

إن الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء في هذا الكون مهما كان، لذا فإنه سبحانه وتعالى قادر بمشيئته أن ينصر أهل الإيمان والإسلام على أهل الشرك، ولكنه سبحانه وتعالى حين جعل الحرب بينهم دائرة كان فيه حكمة عظيمة، وهذه الحكمة تتمثل بالابتلاء الواقع على الذين آمنوا، فإنه سبحانه وتعالى حين يبقي أمر الحرب بينهم وبين أهل الشرك يبقون في ابتلاء دائم، مما يجعلهم على اتصال دائم بالله تعالى كي ينصرهم على أهل الكفر والشرك، ومن ناحية ثانية فمن حكمته سبحانه وتعالى أن يختار من المؤمنين شهداء يرفعهم إلى الدرجات العلا، ويُبقي أمر الإيمان ظاهراً يقاتل أهل الشرك والكفر، فيُعذبهم سبحانه وتعالى بهؤلاء المؤمنين عند قتالهم إياهم، وكفى بهذا عذاباً للذين كفروا.

---

(1) انظر: الماتريدي. تأويلات أهل السنة، ج: 9، ص: 266.

(2) ابن عادل الحنبلي. اللباب في علوم الكتاب، ج: 17، ص: 433.

الخاتمة

وبعد أن أتمّ الباحث هذه الدراسة على وجهها المُبتغى، فإنّه لا بدّ من إيراد مجموعة من النتائج التي توصّلت إليها هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

المشيئة الإلهية مشيئة ثابتة فيه سبحانه وتعالى أزلية منذ القدم وحتى الأزل.

تتعلق المشيئة الإلهية باختياره سبحانه وتعالى اختياراً يليق بألوهيتـــه، ولـــيس اختياراً شبيهاً باختيار العباد.

لا يشتمل اختياره سبحانه وتعالى على التردد كما هـــو الحـــال فـــي المـــشيئة البشرية، حاشى الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وإنما مشيئته ممكنة بإرادته سبحانه وتعالى.

لا تعني المشيئة الإلهية جبرية العباد على أفعالهم، بل هم مخيرون في اختيار أفعالهم، والمشيئة الإلهية هي التي اقتضت أن يختاروا تلك الأفعال.

كنى القرآن الكريم عن أشكال الرزق المختلفة بلفظ عام هو "الرزق" وما يشتق من هذا اللفظ، كالفعل "يرزق"، ويبسط الرزق"، وهكذا، وفي أحيان كثيرة كان القرآن الكريم يصرح بأشكال الرزق، مثل: المطر، والعلم، والحكمة، والغنى، والطعام، وغيرها.

ارتكزت الآيات القرآنية الكريمة في حديثها عن المشيئة الإلهية في جانب الرزق على بيان أن هذا الرزق لا يحصل إلا بمشيئته سبحانه وتعالى وحده، وحين يشاء هو أن يرزق أحداً رزقاً ما فلا راد لمشيئته سبحانه وتعالى.

إن هذا التأكيد القرآني على ارتباط الرزق بالمشيئة الإلهية فيه طمأنينة للناس كافة بأن أحداً لن يعتدي على أرزاقهم، وأن ما كُتب لهم من الرزق من عند الله سيأتيهم لا شك، وذلك لأنه سبحانه قد تكفل بإعطاء الناس كافة أرزاقهم، وتكفل بأن أحداً لن يعتدي على تلك الأرزاق المقدرة لهم، وهذا كله طمأنينة للبشر على أقواتهم.

تناولت الآيات القرآنية الكريمة نوعي الهداية: هداية الدلالة والإرشاد، والهداية التوفيقية، فالنوع الأول هو مهمة الأنبياء والصالحين، أما النوع الثاني فهو مقصور على الله سبحانه وتعالى.

بيّنت الآيات القرآنية الكريمة أن الهداية لا تتحصل بمجرد رغبة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في هداية أحد من الناس، بل لا بد من أن توافق تلك الرغبة المشيئة الإلهية الأزلية التي تقرر هداية ذلك الشخص أم لا.

كما تتصل المشيئة الإلهية بالهداية، فإنها تتصل أيضاً بالضلال، فكما أن هداية الناس بمشيئة الله سبحانه وتعالى، فكذلك ضلالهم بمشيئته سبحانه وتعالى.

ترد المشيئة الإلهية مرتبطة بالهداية في القرآن الكريم متعلقة بالإيمان مثلاً، أو متعلقة ببعض مستلزمات الإيمان، فليس المقصود بالهداية دائماً نقيض الضلال، وإنما قد يُصد منها الوصول إلى المبتغى، كما رأينا في آية البقرة، فإن الله هداهم للوصول إلى تلك البقرة التي يصفها لهم النبي موسى ــ عليه السلام ــ وليس القصد من الهداية الإيمان.

1 . يرد الفضل مرتبطاً بالمشيئة الإلهية في كتاب الله تعالى عند حديثه سبحانه عن الجوانب التي تتعلق بالفضل، كالرحمة، والنعم، والإحسان، وغيرها، فإن هذه المعاني كلها ترد مرتبطة بالفضل، ويرد الفضل بدوره مرتبطاً بالمشيئة الإلهية، فلولا مشيئته سبحانه وتعالى لما أُعطي هذا الفضل لأحد من خلقه، فهو المتفضل على عباده.

من أبرز المعاني التي يرد بها الفضل في الآيات القرآنية الكريمة: الهدى، والدين، والرسالة، والرحمة، والإحسان، كما يرد بمعناه العام ويقصد منه الشمول لكافة أشكال الفضل التي يتفضل بها سبحانه وتعالى على عباده.

إذا ارتبطت المشيئة الإلهية بالرحمة في كتاب الله تعالى فإنها تدل على تخصيص تلك الرحمة بجانب معين، أو بالمؤمنين، أما إذا وردت الرحمة عامة دون ربطها بالمشيئة الإلهية، فإنها تدل على رحمته سبحانه وتعالى لكافة خلقه.

تؤكّد آيات القرآن الكريم على أن أمر التوبة والمغفرة، والرحمة بيد الله سبحانه وتعالى، وخاضعة لمشيئته سبحانه، فهو يصيب بها من يشاء، ويمنعها عمن يشاء، وهو على كل شيء قدير.

إن الاجتباء ينقسم وفق المشيئة الإلهية إلى قسمين: الأول: اجتباء عام، وهو يختصّ بعموم المؤمنين الذين اجتباهم الله سبحانه وتعالى وفق مشيئته على سائر

خلقه الكافرين، والثاني: اجتباء خاص، وهو متعلق بالأنبياء والرسل، والشهداء والصدّيقين، وهذا اجتباء خاص لبعض المؤمنين دون بعضهم الآخر.

إن الاجتباء والاصطفاء لا يكون بفضل عمل يعمله الإنسان، ولا بكسب يكسبه، فالاجتباء الإلهي منحة ربانية وفق مشيئته سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده دون جهد منهم أو اكتساب.

إن الله سبحانه وتعالى قد بيّن للناس في آيات كتابه العزيز أنه هو المتصرف بأحوال عباده، وأنه هو المتصرف بالخلق كيف يشاء، وأن مشيئته سبحانه وتعالى هي المقتضية لأفعاله، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو العالم بمقادير الأمور، والقادر على أن يهيء لعباده ما فيه صلاح أمرهم، وخير عاقبتهم، وليس لأحد أن يختار على خيرته سبحانه وتعالى.

ربطت الآيات الكريمة السابقة بين ثلاثة أشياء وهي:

أ . ملكه سبحانه وتعالى للسماوات والأرض.

ب . مشيئته سبحانه وتعالى.

ج . العذاب والمغفرة التي يحققها سبحانه وتعالى لعباده.

فإنه سبحانه وتعالى لما كان مالكاً للسماوات والأرض، صار مقتضى ذلك أن تكون مشيئته هي المتصرفة بهذا الكون كله، وصار بمقتضى ذلك أمر العذاب والمغفرة بيده سبحانه وتعالى وحده.

بيّنت الآيات القرآنية الكريمة أن غفران الذنوب، أو العذاب لأهل المعاصي مرتبطان بالمشيئة الإلهية، فإن شاء الله سبحانه وتعالى غفر، وإن شاء عذّب، فهو وحده المتصرف بهذه الأمور، إلا الشرك به سبحانه وتعالى، فإنه لا يغفره، ولا بد لمن يقع في هذا الشرك أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً حتى يغفر له سبحانه وتعالى ما تقدم من أمر شركه وضلاله.

إن معنى قوله سبحانه وتعالى: يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، حيث ورودها في القرآن الكريم أي أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد هداية لأحد من خلقه هداه فغفر له بهذه الهداية، وإذا لم يرد له الهداية أبقاه على ضلاله، فلم يكن ذلك سبيلاً لغفران

ذنبه، بل يعذّبه سبحانه وتعالى بتلك الذنوب التي اقترفها، فإن الله سبحانه وتعالى لا يغفر إلا للتائبين.

إن امتلاك الله سبحانه وتعالى للسماوات والأرض يعني أنه سبحانه في غنى عن سائر خلقه، فليس فيه سبحانه افتقار إلى أحد منهم، أما الخلق فهم جميعاً مفتقرون إلى الله سبحانه وتعالى ورحمته، فمن هنا بيّن سبحانه أن عدم افتقاره إلى أحد من الخلق يجعله يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء بمقتضى تلك المشيئة، وبناء على ذلك الملك العظيم، وعدم افتقاره سبحانه وتعالى لأحد من خلقه.

المراجع

الأنجري، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي (1419هـ). **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي، القاهرة ــ مصر.

الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (2004م). **جامع البيان في تفسير القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (1420هـ). **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد (1418هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

التهانوي، محمد بن علي (1996م). **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، ترجمة النص الفارسي: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحاراني (1986م). **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ــ السعودية، الطبعة الأولى.

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (1418هـ). **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (2002م). **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي (1983م). **كتاب التعريفات**، تحقيق: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (1416هـ). **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى. الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (1422هـ). **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (1987م). **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ــ لبنان، الطبعة الرابعة.

ابن حميد، صالح بن عبد الله (د.ت). **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ**، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة ــ السعودية، الطبعة الرابعة.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (1420هـ). **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد (1415هـ). **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (2001م). **درة التنزيل وغرة التأويل**، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، معهد البحوث العلمية، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها: 30، مكة المكرمة ــ السعودية، الطبعة الأولى.

الخلوتي، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستنبولي (د.ت). **روح البيان**، دار الفكر، بيروت ــ لبنان.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (1420هــ). **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (1999م). **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، الطبعة الأولى.

رضا، محمد رشيد بن علي (1990م). **تفسير المنار، تفسير القرآن الحكيم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ــ مصر.

الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق (د.ت). **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الهداية، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى.

الزحيلي، وهيبة بن مصطفى (1418هــ). **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق ــ سوريا، الطبعة الثانية.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (1407هــ). **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (1961م). **شريعة القرآن من دلائل إعجازه**، دار العروبة، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى.

سابق، سيد (د.ت). **العقائد الإسلامية**، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

أبو السعود، العماد محمد بن محمد بن مصطفى (د.ت). **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (1997م). **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض ــ السعودية، الطبعة الأولى.

السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (د.ت). **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ــ سوريا.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (2004م). **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مطبعة الآداب، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى.

الشربيني، أحمد بن محمد (1285هــ). **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة ــ مصر.

الشعراوي، محمد متولي (1997م). **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (1414هــ). **فتح القدير**، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق ــ سوريا، وبيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الصالحي، صدر الدين محمد بن علاء الدين (2005م). **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى.

ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي (1998م). **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (1984م). **التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (1413هــ). **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، ودار الثريا، الرياض ــ السعودية، الطبعة الثالثة.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (1422هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الفراهي، عبد الحميد (2002م). **مفردات القرآن نظراتجديدة في تفسير ألفاظ قرآنية**، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (د.ت). **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت ــ لبنان.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد (1418هـ). **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (1964م). **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة ــ مصر، الطبعة الثانية.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (د.ت). **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ــ مصر، الطبعة الثالثة.

القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان (1992م). **فتح البيان في مقاصد القرآن**، عني بطبعه وقدم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا ــ بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1999م). **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، جدة ــ السعودية، الطبعة الثانية.

الكرماني، أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر (د.ت). **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة ــ السعودية، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت ــ لبنان.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (د.ت). **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ـــ لبنان.

الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (2005م). **تأويلات أهل السنة**، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (د.ت). **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى.

مجموعة من العلماء (1993م). **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، بإشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ـــ مصر، الطبعة الأولى.

المراغي، أحمد بن مصطفى (1946م). **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة ـــ مصر، الطبعة الأولى.

المناوي، عبد الرءوف بن تاج العاريفين بن علي (1990م). **التوقيف على مهمات التعاريف**، دار عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، القاهرة ـــ مصر، الطبعة الأولى.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم المصري الإفريقي (1414هـ). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الثالثة.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (1998م). **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى.

النووي، محمد بن عمر (1417هـ). **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين (1416هـ). **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (1994م). **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرا، وأحمد عبد الغني الجمل، وعبد الرحمن عويس، قدمه وقرضه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (1992م). **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام – السعودية، الطبعة الثانية.

ابن الوزير، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن علي (1994م). **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة.

ابن الوزير، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن علي (1987م). **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثانية.

الوعلان، عبد الحميد بن محمد (1433هـ). **الآيات الكونية دراسة عقدية**، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ــ السعودية، الطبعة الأولى.

المعلومات الشخصية

الاسم: عبدالله صالح السديس

التخصص: ماجستير أصول الدين

الكلية: الشريعة

السنة: 2015

هاتف رقم: 00966506496960